المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع البلاغة

تم التصويب حسب توجيه لجنة المناقشة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٦٣٨٣

الاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية

إعداد الطالبة

زينب يوسف عبدالله هاشم

إشراف الدكتور

علـــي العمـــــــاري

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

لقد جاء القرآن بلسان عربي مبين فأدرك الصحابة إعجازه بسليقتهم العربية ، ثم اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الإسلام مَنْ ليس من العرب ، وشعروا أنهم بحاجة إلى اكتساب حسّ العربية بالتعلم لفهم معانـــي القـــرآن ومعرفة السر في إعجازه ، فظهرت الكتب التي قصدت لبيان نواحي الإعجاز فيه ، وفي هذه الكتب عرضت أمهات المسائل البلاغية ، نأخذ منها مانأخذ وندع ماندع . . نقارن بين النصوص بعضها ببعض . . ونجتهد . . ونرجح .

اخترت من بين هذه الكتب : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للإمام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني . . واخترت من بين المسائل البلاغية : الاستعارة موضوعاً لرسالتي .

بـدأت بمقدمـة أوضحت فيها سبب اختياري هذا الموضوع ، ثم تتبعت مفهـوم الاستعارة عنـد العلماء إلى مجيء عبدالقاهر الجرجاني ، إذ تناولت الاستعـارة عنـده - قـدر جهـدي - من جوانب متعـددة ، خصصـت لكل جانب فصلاً مستقلاً .

الفصل الأول : يتكون من جزأين ، تظهـر لنا - في الجزء الأول - عقلية الإمام المتميزة من فهمه لمعنى الاستعارة عندما يرفض كونها مجرد نقل ويثبت فكرة الادعاء بشتى الطرق .

أما الجزء الثاني : فقد ظهر فيه تفصيل الإمام في كون الاستعارة من قبيل المجاز اللغوي من جهة ومن قبيل المجاز العقلي من جهة أخرى .

الفصل الثاني : مكان الاستعارة بين التشبيه والتمثيل :

لما كان التمثيل تشبيهاً إلا أنه خاص فقد رأيت أن أجمع بين التشبيه والتمثيل عند الحديث عن الفروق بينهما وبين الاستعارة .

الفصل الثالث : أقسام الاستعارة :

لقد قسم الإمام الاستعارة تقسيمات عدّة ، باعتبارات متعددة :

أولاً : قسمها من حيث الفائدة ، وعدمها .

ثانياً : الاستعارة في الاسم والاستعارة في الفعل .

ثالثاً : تقسيم باعتبار الجامع والطرفين .

الفصل الرابع : قيمها الجمالية والبلاغية وأسباب حسنها :

لقد أوضح الإمام علو شأنها على بقية ألوان البديع وبيّن قيمتها وفضلها وماتحدثه في الكلام من جمال .

الفصل الخامس : الاستعارة ومقتضيات النظم مع بيان أثرها في الدرس اللغوي:

يظهر فيه حديث عن الارتباط الوثيق بين النحو والنظم ، ثم بيان أن الاستعارة والكناية والتمثيل من مقتضيات النظم ، وأثرها على اللغة واضح ، فاللغة تتطور ومن أسباب تطورها المجاز .

الفصل السادس : يتكون من جزأين : تحدثت في الأول عن الاستعارة بين المعنى التخييلي والمعنى العقلي .

الجزء الثاني : جهود الإمام بين سابقيه ولاحقيه .

الفصل السابع : صلة الصورة في النقد الحديث بالاستعارة عند عبدالقاهر :

إن لفظ « الصورة » لفظ شامل ، فالتشبيه صورة ، والمجاز صورة ، والكتابة صورة ، وكل التعبيرات إنما هو صورة مابداخلنا من معان . . وهكذا نجد أن مفهوم الصورة بالمعنى الكلي عند الجرجاني يلتقي مع مفهومها بهذا المعنى لدى المحدثين .

ثم ختمت بحثي بتلخيص ماورد فيه .

وإني إذ أتقدم بهذه الرسالة لعلى يقين بأنها لن تصل إلى درجة الكمال ، إذ الكمال لله وحده ، لكن . . هذا جهدي والله المستعان .

ولايسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضل : د . على العماري ، المشرف على رسالتي ، الذي لم يأل جهداً لمساعدتي وفتح أبواب المعرفة أمامي .

وللأستاذين المناقشين : د . عبداللطيف خليف . د . عبدالعظيم المطعني . اللذين تفضلا بقبول المناقشة وتقديم الملاحظات القيمة .

ومن ثم شكري لمن منحوني فرصة البحث العلمي في هذه الجامعة الكريمة .

فجزى الله الجميع عني خير الجـــزاء .

المشرف

الطالبة

زينب يوسف هاشم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة ، أحمده سبحانه وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيد البشرية أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وبعد . .

فاللغة العربية « كانت لغة أُمّيين وثنيين جاهليين ، فظهر فيها أكمل الأديان ، فكانت له أكمل مظهر ، وتجلى لهم العلم فكانت له خير مجلًّ ، وصارت بذلك لغة مجلِّ الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة »[1] .

وعلم البيان علم على درجة كبيرة من الأهمية يتفرّع عنه ويتصدر موضوعاته موضوع هذه الرسالة ، وهو : الاستعارة .

أسلوب بلاغي شاع في الأدب العربي والقرآن الكريم والحديث الشريف فكان له أكبر الأثر في إيضاح الفكرة وتوليد الصور ، فكان جديراً بأن يدرس ويبحث في أسرار جماله ، وقد قام كثير من علماء البلاغة العربية بهذا الدور وبذلوا في ذلك مجهوداً لايُنكر .

وإن كانت هذه الدراسات قد حدث فيها بعض الخلط أو التقصير فإن لدارسيها العذر في ذلك ، إذ كانت بمثابة البذور الأولى لهذا الفن ، وهذه هي طبيعة كل بداية .

ولكن ما إن يأتي القرن الخامس الهجري حتى يأتي عالم له الفضل في تأسيس قواعد هذا الفن وتوضيح براهينه وترتيب أفانينه[2] .

---

(١) أسرار البلاغة ، مقدمة السيد رشيد رضا ، الطبعة الثانية .

(٢) انظر كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز ، العلوي ، المقدمة .

لقد أطال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني الحديث عن الاستعارة وبذل قُصارى جهده في العناية بأمرها ، ولم يكن هذا إلا لأمرين :

الأول : عامّ ، يشمل علوم البلاغة . يقول السيد رشيد رضا « ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس و كانت في ريعان شبابها ، وأوج عزّها وشرفها ، وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ، ومدلول الألفاظ المفردة ، والجمل المركبة ، والانصراف عن معاني الأساليب ، ومغازي التركيب ، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا مابعث عزيمة الشيخ عبدالقاهر الجرجاني إمام علوم اللغة في عصره إلى تدوين علم البلاغة ، ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الإعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ، ومن فاتحته يتنسم القارىء أن دولة الألفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز جانبها وشد أسرها »[١] .

الثاني : خاص بالاستعارة ، وهو قيمتها ومكانتها بين سائر الأساليب ، يقول الإمام في ذلك : « هي أمد ميداناً وأشد افتناناً وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة ، وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً ، من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحراً . . . وأهدى إلى أن تهدى إليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعني بها الكمال وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدّت في الشرف والفضيلة باعاً لايقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لاتنكر . . . وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا . . . وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفى جملة جمالها[٢] » .

---

(١) أسرار البلاغة ، مقدمة السيد رشيد رضا .

(٢) أسرار البلاغة ص٣٠ تحقيق رشيد رضا .

ولمّا رأيت شيوع هذا الفن في الأدب العربي أردت أن أكشف عما تميّز به دون سائر الأساليب ، فلم أجد أفضل من توضيح ماقدمه الإمام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني فقمت بهذه الدراسة المتواضعة متبعة فيها الخطة الآتيـة :

التمهيـــد :

تتبعت فيه أقوال علماء البلاغة في الاستعارة منذ بدء الحديث عنها .

الفصل الأول :

يتكون من جزأين : الأول : أوضحت فيه مفهوم الاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني ، والثاني : بيان رأي عبدالقاهر في الاستعارة : هل هي من المجاز العقلي أو اللغوي .

الفصل الثاني :

بيان مكانة الاستعارة بين التشبيه والتمثيل .

الفصل الثالث :

أقسام الاستعارة والفروق بينها .

الفصل الرابع :

قيمتها الجمالية والبلاغية وأسباب حسنها .

الفصل الخامس :

الاستعارة ومقتضيات النظم مع بيان أثرها في الدرس اللغوي .

الفصل السادس :

يتكون من جزأين : الأول : الاستعارة بين المعنى التخييلي والمعنى العقلي ، والثاني : جهود عبدالقاهر بين السابقين واللاحقين .

الفصل السابع :

صلة الصورة في النقد الحديث بالاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني .

[تمهيــــد]

الاستعارة وتطورها

ظهر هذا الفن منذ القدم في الشعر العربي ، لكن ظهور المصطلح كان متأخراً وذلك بعد بحوث العلماء في الرد على الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم وبعد المفاضلة بين الشعراء في العصور المختلفة .

أبو عبيـــدة* :

ومع أن كتاب أبي عبيدة أشبه بأن يكون تفسيراً للمفردات فقد وردت فيه مسائل بلاغية أفاد منها علماء البلاغة .

وكلمة « مجاز » في كتاب أبي عبيدة (مجاز القرآن) لاتعني بالضبط المعنى الذي وصل إلينا ، إذ إننا نلحظ أن هذه الكلمة أخذت معاني عدّة منها :

١ - الأسلوب أو طريقة التعبير .

٢ - مرادفة لكلمة « معنى » .

٣ - تفسير طرق العرب في كلامهم .

وهو بهذا يكون قد فهم « المجاز » بالمعنى العام الذي فهمه البلاغيون وهو : الطريق ، فكان معنى المجاز عنده : الطريق الذي يصل بنا إلى فهم معاني القرآن الكريم .

أما موضوع حديثنا « الاستعـــارة » فقد ورد هذا اللفـظ صريحـــاً في كتابـه « النقائض » حيث يقول : « قال الفرزدق لجرير :

لاقوم أكرم من تميم إذ غدت   عوذ النساء يسقن كالآجـال .

قوله « عوذ النساء » هن اللاتي معهن أولادهن ، والأصل في « عوذ » في الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء وهذا من المستعار وقد تفعل العـرب ذلك كثيـراً ، قال « والآجال » الفِرَق من البقر والظبـاء واحـدها « إجل »[(١)] .

(*) معمر بن المثنى التيمي . المتوفى سنة ٢٠٩هـ .

(١) النقائض ص٢٧٥ .

فالاستعارة عند أبي عبيدة هي : الانتقال بالكلمة من معناها الأصلي الذي وضعت له إلى معنى لم توضع له .

الجاحظ* :

يلحظ الجاحظ الاستعارة في كتابيه : البيان والتبيين و الحيوان ، يقول في الأول « وقال آخر :

يادار قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاها
خرّبها عمران من بناها وكـرّ ممساها على مغناها
وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

قوله : « ممساها » يعني مساءها . و « مغناها » موضعها الذي أقيم فيه . والمغاني : المنازل التي كان بها أهلوها ، وطفقت : يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها ، عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه و يقال لكل جوبة منفتقة ليس فيها بناء : عَرْصَة»[1] .

ويقول أيضاً في قوله تعالى : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينْ ﴾[2] ، والعذاب لايكون نزلاً ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه . وقال آخر :

فقلت أطعمني عمير تمراً فكان تمري كهرة وزبرا

والتمر لايكون كهرة ولازبراً ، ولكنه على ذا »[3]

ويسمى الاستعارة باسم البدل وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسْعَىٰ ﴾[4]

(*) أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ . المتوفى سنة ٢٥٥هـ .

(١) البيان والتبيين . ج١ ص١٥٣ . (٢) سورة الواقعة ، آية <٥٦> .

(٣) البيان والتبيين ج١ ص١٥٣ .

(٤) سورة طه ، آية <٢٠> .

إذ إن « الانسياب » هو الأصل في الحيّة فتُرك واسْتُعْمِل « السعي » بدلا منه - يقول الجاحظ :

« . . . لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه فمن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدّيْنْ ﴾ والعذاب لايكون نزلاً ، ولكنه أجراه مجرى كلامهم كقول حاتم حين أمروه بفصد بعير ، وطعنه في سنامه - قال : هذا فصده »[١] .

فالجاحظ بتعليقاته على الآيات والأبيات وبتعريفه للاستعارة قد جعلها قريبة إلى حدٍ ما من المعنى اللغوي الذي يكون بنقل اللفظ من معنىً عُرف به لغوياً إلى معنى آخر لم يُعرف به .

ابن قتيبة* :

يقول في تعريف الاستعارة « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى ، أو مجاوراً لها ، أو مشاكلاً »[٢] ويمثل لها بقول رؤبة : وجف أنواء السحاب المرتزق .

وقول الشاعر[٣] :

إذا سقط السماء بأرض قـــوم رعيناه وإن كانــوا غضــابا

وقول العرب : ضحكت الأرض . وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾[٤] وكما هو واضح من تعريف ابن قتيبة للاستعارة ، والأمثلــة التي يستشهد بهــا أن

(*) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

(١) الحيوان ج٤ ص٢٧٣ . (٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٣٥ .

(٣) البيت لمعاوية بن مالك - كما في المفضليات .

(٤) سورة القلم ، آية ‹٤٢› .

تحديده لأنواع المجاز - على ماذهب إليه علماء البلاغة المتأخرون - لم يكن دقيقاً ، إذ إن المثالين الأولين من المجاز المرسل والمثال الثالث من الاستعارة ، والرابع من الاستعارة التمثيلية .

المبرّد* :

يعقد المبرد باباً طويلاً في التشبيه ، ويشير أثناء حديثه عن التشبيه إلى الاستعارة لكن دون التصريح بها فيقول : « وأملح ماقيل في هذا المعنى وأجوده قول امرىء القيس :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فجعله للوحش كالقيد »[1] .

كما أشار أيضاً إلى المجاز المرسل في قوله « وقول جل وعز ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾[2] أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال »[3] والعلاقة هنا اعتبار ماسيكون .

ثعلب :**

يعرف الاستعارة بقوله « أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه » ومثّل بقول امرىء القيس في صفة الليل فاستعار وصف الجمل :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

(*) أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد . المتوفى سنة ٢٨٥هـ .

(١) الكامل للمبرد ج٢ ص٨٨ .

(٢) سورة يوسف ، آية ‹٣٦› .

(٣) الكامل للمبرد ج٢ ص٧٨ .

(**) أبوالعباس أحمد ثعلب . المتوفى سنة ٢٩١هـ .

ثم يذكر شواهد بعد ذلك أكثرها من الاستعارات المكنية دون أن يذكر اسمها فيذكر استعارة زهير « حيث ألقت رحلها أم قشعم » ويعلق : ولارحل للمنية ، واستعارة تأبط شراً « تهللت نواجذ أفواه المنايـا » ويعلـق : ولانواجذ للمنية ولاقـم .

ويذكر شاهداً للاستعـارة التصريحيـة دون أن يذكر اسمها قول أعـرابي يصف رجلاً :

وداهيـة جرهـا جـارم   جعلـت رداءك فيهـا خمـاراً

يقول قنّعت بسيفك رؤوس أبطالها يشير إلى استعارة الرداء للسيف[1] .

ابن المعتـز* :

يذكر ابن المعتز الاستعارة في باب البديع ويصرح باسمها ويعرفها ، يقول « من الكلام البديع قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِي حَكِيم ﴾[2] ومن الشعر البديـع قولـه :

« والصبح بالكوكب الدري منحور »

وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عُرف بها مثل : « أم الكتاب » ومثل « جناح الذل » ومثل قول القائل : الفكرة مخ العمل ، فلـو كـان قـال : لبّ العمل لم يكن بديعاً »[3] .

ويمثل لها فيقول : « ومن الاستعارة قول امرىء القيس :

---

(١) علوم البلاغة ، نشأتها وتطورها ، الفصل الأول ، ص ٢٩ - ٣٠ ، د . علي العماري .

(*) عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد . المتوفى سنة ٢٩٦هـ .

(٢) سورة الزخرف ، آية ‹٤› .

(٣) كتاب البديع لابن المعتز ص٢ .

وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت لـه لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

هذا كله من الاستعارة لأن الليل لاصلب له ولاعجز »[1] .

ومن الجدير بالذكر ملاحظة أن ابن المعتز يجعل من الاستعارة التشبيه الذي ذُكر طرفاه وحذف منه الوجه والأداة ، وهو ماسماه المتأخرون بالتشبيه البليغ ، كما هو ظاهر من أمثلته : الفكرة مخ العمل ، وقول عليّ رضي الله عنه : العلم قفل مفتاحه السؤال ، وقول عائشة رضي الله عنها : كان عمله ديمة[2] .

الحاتمي* :

يعرّف الاستعارة بقوله : « وحقيقة الاستعارة أنها نقل كلمة من شيء قد جعلت له إلى شيء لم تجعل له »[3] .

إذن فالحاتمي هو أول من بدأ بفكرة « النقل » ، والتي تعني : نقل الكلمة من معنى قد وضعت له في اللغة إلى معنى لم توضع له ، لكن دون أن يشير إلى القرينة .

كما أنه يطلق الإرداف[4] على الاستعارة ويعدّه نوعاً من أنواعها حيث يقول : « ألا ترىٰ إلى قول امرىء القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

---

(١) نفس المرجع . ص٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص٥ .

(*) أبوعلي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب ، المتوفى سنة ٢٨٨هـ .

(٣) الرسالة الموضحة ص٦٩ .

(٤) يطلق بعض علماء البلاغة الإرادف على الكناية .

وهذا النوع من الاستعارة يسمى الإرداف ، وهو أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الذي يدل على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له . فإذا دلّ على التابع دلّ على المتبوع . ومثل ذلك « قيد الأوابد » وذلك أنه أراد وصف الفرس بالسرعة وأنه جواد إذا أرسلته على الصيد كان كالقيد لها وكانت كالمقيدة له ، وذلك سبقه وميعة إحضاره ، يتبعهما أن تكون الأوابد كالمقيدة له ، وحقيقة « قيد الأوابد » مانع الأوابد وحابسها . و « قيد الأوابد » أبلغ وأحسن . وقيل « قيد المتين » للأسير ، وقيل في وصف الفرس « قيد الرهان » ، وقيل : النواظر قيد الخواطر وقيد العيون ، وكل ذلك تركيب على لفظ الفرس »[1] .

قدامة بن جعفر* :

تحدث قدامة عن الاستعارة دون أن يورد لها تعريفاً ، فقال : « قال أوس :

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا

فسمى الصبي تولباً وهو ولد الحمار . مثل قوله الآخر[2] :

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافراً . فإن ماجرني هذا المجرىٰ من الاستعارة قبيح لاعذر فيه .

---

(١) الرسالة الموضحة ص٩٢ .

(*) قدامه بن جعفر بن قدامة بن زياد ، الكاتب البغدادي ، المتوفى سنة ٣٣٧هـ .

(٢) هو جبيهاء الأشجعي . كما ورد في الجمهرة ج٣ ص٤٩٠ . وقد نسبه الجرجاني في الأسرار لمزرد .

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذ كان مخرجها مخرج التشبيه ، فمن ذلك قول امرىء القيس :

فقلت لــه لما تمطى بصلبـــــه وأردف أعجــازاً ونــاء بكلكل »[1]

ويظهر تأثر قدامة بتقسيماته المنطقية حين عاب الاستعارة في التشبيه ، ولو نظر إلى المعنى لوجد أنه يقتضي حمل الاستعارة في البيتين[2] على التشبيه[3] .

علي بن عبدالعزيز الجرجاني* :

يعرف الاستعارة بقوله : « وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لايوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر »[4] .

فيبين أن الاستعارة يُكتفىٰ فيها بأحد الطرفين على أن تكون هناك مناسبة بينهما وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينهما منافرة ، وهذا الشرط هو الفرق بين الاستعارة الحسنة والاستعارة القبيحة ، يقول : « وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة ، وخرج على حدّ الاستعمال والعادة فكان مما عدّه منها قوله :

---

(١) نقذ الشعر ص١٧٥ . (٢) بيتا أوس والأشجعي .

(٣) وهذا ماذهب إليه عبدالقاهر في الأسرار عند حديثه عن الاستعارة اللفظية الناظرة إلى المعنوية ص٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(*) هو الأديب الناقد علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، المتوفى سنة ٣٦٦هـ .

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٤١ .

مَسَرَّة في قُلوبِ الطِّيبِ مَفرِقُهَـــا   وحَسْـرَة في قُلوبِ البَيْضِ واليلب

وقوله :

تجمّعـت في فـؤاده همـــــم   ملء فـؤاد الزمان إحداهــــا

فقال : جعل للطيب والبيض واليلب قلوباً وللزمان فؤاداً ، وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولابعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرق من الشبه والمقاربة »[١] .

فاستعارة الفؤاد للزمان ليست معيبة في ذاتها وإنما عيبت هنا لعدم اقتضاء المعنى لها ، فالشاعر يريد أن يمدح ممدوحه بعلو الهمة وهذا معنى حسن ، والزمان لم يُعرف عنه همة في الجد وإنما تعورف على إسناد المصائب والدوائر له ، ومن هنا يصح حمل قول الجرجاني : بعدم وجود شبه قريب ولابعيد . أما رفض استعارة الفؤاد للزمان مطلقاً وعدّها من الاستعارات غير الجيدة فغير صحيح ، يؤكّد هذا استحسانه لكثير من الاستعارات البعيدة .

وقد كان القاضي أول من أخرج التشبيه البليغ من باب الاستعارة ، وسيرد ذلك - إن شاء الله - عندما يأتي الحديث عن التشبيه والاستعارة .

الآمـــدى* :

يقول الأمدي في الاستعارة : « وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه ، أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه »[٢] .

---

(١) نفس المرجع ص٤٢٩ .

(*) أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ .

(٢) الموازنة بين الطائيين ص٢٣٤ .

لقد أدخل المجاز المرسل في الاستعارة وذلك في قوله : « أو كان سبباً من أسبابه »[١] ، المهم أنه يشترط أن تكون هناك صلة بين المستعار له والمستعار منه ويضرب لذلك الأمثلة ، منها قوله : « نحو قول امرىء القيس :

فقلت لـه لما تمطى بجـوزه وأردف أعجـازاً ونـاء بكلكل »[٢]

ويبين أن هذه الاستعارة من أجود أنواع الاستعارة . يقول : « وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعاني ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجوده والصحة وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه ، وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد مايكون على من يراعيه ويترقب تصرّمه ، فلما جعل له وَسَطاً يمتد وأعجازاً رادفه للوسط وصدراً متثاقلاً في نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصلب ، وجعله متمطّياً من أجل امتداده لأن تمطى وتمدد بمنزلة واحدة ، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه ، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة وأشد ملاءمة لمعناها لما استعيرت له »[٣] .

فاستحسانه للاستعارة إنما كان لمناسبتها للمعنى الذي أراده الشاعر ، وهذا هو معنى القرب الذي ذكره .

(١) سبقه ابن دريد في الجمهرة ، وسيرد في ذلك - إن شاء الله - في فصل الاستعارة .

(٢) الموازنة بين الطائيين ص٢٣٤ .

(٣) نفس المرجع ص٢٣٤ .

الرمانـي* :

يعرف الاستعارة بأنها : « تعليق العبارة على غير ماوضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة . . . وكل استعارة فلابد فيها من أشياء : مستعار ومستعار له ومستعار منه . . . وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه ، إلا أنه بنقل الكلمة ، والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة »[١] .

فيوضح أن الاستعارة نقل للكلمة من معنى وضعت له إلى معنى لم توضع له في أصل اللغة ، ويحدد أركانها : مستعار ، مستعار له ، مستعار منه ، والاستعارة البليغـة عنده هي تلك الاستعارة التي تجمع بين شيئين شريطة أن تكون بينهما صلـة .

وقد فرّق بين التشبيه والاستعارة بوجود أداة التشبيه . كما أنه لم يغب عنه ذكر فائدة الاستعارة ألا وهي : الإبانة .

ولا يترك الرماني كل هذه الأفكار جافة ، بل نجده يضرب أمثلة للاستعارات البليغة في القرآن العظيم فيقول : « ونحن نذكر ماجاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة ، قال الله عز وجل : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً** ﴾ . حقيقة « قدمنا » هنا « عمدنا » ، وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ، لأنه من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم »[٢] .

(*) أبوالحسن علي بن عيسى الرماني ، المتوفى سنة ٣٨٦هـ .

(١) النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل ص٧٩ .

(٢) نفس المرجع ص٧٩ - ٨٠ .

العسكري* :

يعقد للاستعارة فصلاً في الباب التاسع الذي جعله لفنون البديع افتتحه بذكر تعريفها : « الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض »[١] .

وكما نقل عن الرماني أقسام التشبيه الأربعة دون أن يشير إليه فقد نقل عنه أيضاً فكرة تعبير الاستعارة عما تعجز الحقيقة عن التعبير عنه ، ومما يؤكّد هذا إشارة صاحب العمدة إلى رأي الرماني[٢] .

وقد ذكر أمثلة للاستعارة من القرآن والشعر ذاكراً ما أوجبته بلاغتها من بيان لاتنوب منابه الحقيقة ، كقوله تعالى :

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾[٣] .

يقول : « معناه سنقصد . . . لأن القصد لايكون إلا مع الفراغ ثم في الفراغ هاهنا معنى ليس في القصد وهو التوعّد والتهديد . . . ألا ترى قولك سأفرغ لك يتضمن في الإيعاد مالا يتضمنه قولك سأقصد لك »[٤] .

وقد أدخل المجاز المرسل ضمن الاستعارة عندما عدّ قول الشاعر :

وجفّ أنواء السحاب المرتزق[٥] .

وقول الشاعر :

(*) الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥هـ .

(١) الصناعتين للعسكري ص٣٩٥ .

(٢) انظر العمدة ج١ ص٢٧٢ .

(٣) سورة الرحمن ، آية ‹٣١› .

(٤) الصناعتين للعسكري ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٥) الشاعر هو رؤبة بن العجاج .

إذا سقــط السماء بأرض قــوم رعينــاه وإن كانـوا غضـــابـا[1].

من الاستعارة .

ابن جنـي* :

عقد باباً في الفرق بين الحقيقة والمجاز ، فعرّف الحقيقة بأنها : « ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة »[2] . والمجاز : « ما كان بضد ذلك »[3] . وبهذا وسّع دائرة المجاز فأدخل فيها التشبيه البليغ وذلك عده قول « هو بحر » على الفرس من قبيل الاستعارة .

ثم بيّن فائدة المجاز في اللغة فقال : « وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع ، والتوكيـد ، والتشبيه ، فإن عَدِمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقـة البينـة »[4] ، ومثّل لهذه الفائدة بشواهد من التشبيه البليغ - كما سبق أن ذكرنا - والمجاز المرسل والاستعارة والمجاز العقلي شارحاً لهذه الفوائد ، فحين يذكر استعارة التغلغل في قول الشاعر :

شكوت إليهـا حبّهـا المتغلغـــلا فما زادهـا شكـواي إلا تدلـــلا

يقول : « وأما التشبيه فلأنه شبّه مالا ينتقل ولايزول بما يزول وينتقل . وأما المبالغة والتوكيد فلأنه أخرجه عن ضعف العرضية إلى قوّة الجوهرية »[5] .

---

(١) الشاعر هو معاوية بن مالك .

(*) أبوالفتح عثمان بن جنى ، المتوفى سنة ٣٩٢هـ .

(٢) الخصائص لابن جنى ، ج٢ ص٤٤٢ .

(٣) نفس المرجع ، ج٢ ص٤٤٢ .

(٤) نفس المرجع ، ج٢ ص٤٤٢ .

(٥) نفس المرجع ، ج٢ ص٤٤٤ .

ابن سنان الخفاجي* :

كان القرن الخامس الهجري يمثل مرحلة النضج في الدراسات البلاغية . ففي حديث ابن سنان عن الفصاحة وشروطها نجد ملحوظات بيانية ناضجة ، وما يعنينا منها هنا : حديثه عن الاستعارة الذي ذكره في شروط فصاحة الكلام حيث عدّ منها حسن الاستعارة ، وذكر تعريف الرماني لها ثم علق على هذا التعريف ، فقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ استعارة ، لأن الاشتعال للنار ، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب ، فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه .. . فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ، ولابد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها ، لأن الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولىٰ . . . والأصل في ذلك ما أفاده التشبيه في الاستعارة من البيان »[1] .

فقد علل سبب البيان الذي تفيده الاستعارة (وهو بالطبع ليس البيان بمعنى الوضوح فحسب ، بل بمعنى ظهور معنى لم يكن يظهر لولا الاستعارة) وأرجعه إلى قيامها على التشبيه ولم يصرّح مَن قبله بقيام الاستعارة على التشبيه وإن كانوا قد أشاروا ضمناً إلى اعتمادها عليه في تحليلهم للأبيات . وفرّق بين الاستعارة والتشبيه بعد أن رفض الفرق الذي ذكره أبو الحسن الرماني من أن الفرق بينهما يكمن في وجود أداة التشبيه فقال : « وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعة له ويكون حسناً مختاراً ، ولايعده أحد في جملة الاستعارة لخلوّه من آلة التشبيه ، ومن هذا قول الشاعر[2] :

(*) أبومحمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، المتوفى سنة ٤٦٦هـ .

(١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ص١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) أبو القاسم الزاهي .

سفرن بـدوراً وانتقبـن أهلّــــة ومسـن غصونـاً والتفتن جـآذرا

وقول الآخر[1] :

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس فسقت ورداً وعضت على العنّاب بالبـرد

وكلاهما تشبيه محض وليس باستعارة ، وإن لم يكن فيهما لفـظ من ألفـاظ التشبيه ، وإنما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكينـاه أولاً »[2] .

فجعل الفرق بينهما في ظهور طرفي التشبيه في « التشبيه » واختفاء أحدهما في « الاستعارة » ، وإن كان قد اشتبه عليـه الأمر فعدّ قول الشاعر : « وأسبلت لؤلؤاً » من التشبيه وهو من الاستعارة ، وقد يكون ذلك لوضوح المشبه .

وأشار إلى أركان الاستعارة ، مشيراً إلى بلاغة التعبير الاستعاري عن التعبير بالحقيقة .

وكغيره فضل من الاستعارات ماكان التلاؤم بين طرفيها قوياً والشبه واضحاً ، وذكر من أسباب بُعد البعيد المطرح منها : البعد بين طرفيها وابتناء الاستعارة على أخرى . وجعل بين مرتبة الغريب المختار والبعيد المطرح مراتب متعددة أدخل فيها بعض أمثلة البعيد كقول الشاعر :

فقلـــت لــه لمـا تمطـــى بصـــلبه وأردف أعجــازاً ونــاء بكلكـل

وقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرّى افراس الصبـا ورواحلــه

اللذين فضلهما الآمدي وعدّهما في غاية الحسن والجودة والصحة .

ومما فضله قول طفيل :

وجعلت كـورى فـوق ناجيــــة يقتات شحم سنامهـا الرحـــل

---

(١) الوأواء الدمشقي .

(٢) سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ص١٠٩ - ١١٠ .

وقول ذي الرمّـه :

أقامت به حتى ذوى العود والتوىٰ ولفّ الثريا في ملاءتـه الفجـــر

لقيامهما على تشبيه واضح .

ولمزيـدٍ من توضيح رأيه ، يعمد - على طريقة شبيهة بطريقة عبدالقاهر - إلى المقارنـــة بين استعارتين في سياقين مختلفين ليبيّن حسن إحداهما وقبح الأخرى بناءً على المقياس الذي وضحـه وهو قرب التشبيه أو بعده ، فيفضل قول أبي نصر بن نباتة :

حتى إذا بهـر الأباطـح والرُّبــــــى نظـرت إليـك بأعيــن النـــــوار

على قول أبي تمام :

قرّت بقرّان عين الديــن وانشترت بالأشترين عيـون الشرك فاصطلما

ويمضي مفاضلاً بين استعارات متعددة محتكماً إلى ذوقه الأدبي بجانب القاعدة التي وضعها .

ابن رشـــيق* :

يعد ابن رشيق الاستعارة من البديع وذلك في قوله : « الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع . . . »[1] .

وقد فضّل القرب في الاستعارة وذلك من خلال تفضيله للاستعارة - التصريحية على المكنية دون أن يسميها - في قولي ذي الرمّة ولبيـد ، ومن خلال تعليقه على بعض الأبيات . يقول ذو الرمّه :

أقامت به حتى ذوى العود والتوىٰ ولفّ الثريا في ملاءتـه الفجـــر

(*) الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، المتوفى سنة ٤٥٦هـ .

(١) العمدة لابن رشيق ، ج١ ص٢٦٨ .

ويقول لبيـد :

وغـداة ريح قـد كشفت وقـرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ثم ذكر أقوال بعض المتقدمين عليه في الاستعارة مثل : القاضي الجرجاني والرماني وابن جنى .

ولما ذكر قول الرماني بأن في الاستعارة بلاغة بيان لاتنوب منابه الحقيقة ، مما يتبادر إلى الذهن معه أن اللجوء إلى المجاز يعني عدم قدرة ألفاظ اللغة على إيفاء المعاني حقها ، فقد أشار إلى أن اللجوء إلى الاستعارة في لغة العرب إنما هو اتساع في الكلام اقتداراً ودالة - بمعنى أن الألفاظ تفي بالتعبير عن معاني العرب ولكن المجاز « في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة »[١] .

وذكر الاستعارة التمثيلية باسم التمثيل ، ثم فرّق بين الاستعارة المفردة والمركبة وبين التشبيه بأنهما « بغير أداته وعلى غير أسلوبه »[٢] .

---

(١) نفس المرجع ص٢٦٦ .

(٢) نفس المرجع ص٢٨٠ .

عبدالقاهر الجرجاني

ترجمة موجزة :

هو أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، ولد في مطلع القرن الخامس للهجرة في جرجان سنة ٤٠٠هـ ، وتوفى سنة ٤٧١هـ ، وقيل ٤٧٠هـ . من أعظم نقاد العرب في تاريخ الثقافة الأدبية العربية ، فهو واضع علم البلاغة باعتراف غير واحد من العلماء ، يقول صاحب الطراز « وأول من أسس من هذا العلم قواعده ، وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتّب أفانينه ، الشيخ العالم التحرير علم المحققين : عبدالقاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد . وهدّ من سور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح أزهاره من أكمامها . وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها . فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والإجزاء »[(١)] .

أهم كتبه :

١ - أسرار البلاغة : عرض فيه أصول البيان : التشبيه والتمثيل ، والاستعارة والمجاز والكناية واختلاف أساليبها من حيث النظم والصياغة والتصوير .

٢ - دلائل الإعجاز : تحدث فيه عن نظرية النظم محللاً نماذج من روائع الأدب مبيّناً الفروق بين الأساليب من حيث وجهة رأيه في النظم .

والملحوظ على الإمام أن حكمه على كثير من الأساليب يعتمد على ذوقه الأدبي الخالص ، مؤكداً أهمية توفر المعرفة والذوق عند المتلقي أيضاً ، كما أنه يعتمد أحياناً في حكمه على القواعد والضوابط .

لقد بنى الإمام - بهذين الكتابين - صرحاً شامخاً للبلاغة العربية استفاد منه كل من جاءوا بعده إلى عصرنا الحاضـر .

---

(١) الطراز : يحيى بن حمزة العلوي ، ج١ ص٤ .

الفصل الأول «أ»

الاستعـــــــــارة

الاستعـــــارة

لقد كان المجاز من أهم الأبحاث التي تناولها الإمام بالحديث ، حيث قسمه قسمين : لغوياً وعقلياً ، ثم قسم اللغوي قسمين : مايبنى على التشبيه - وهو الاستعارة - ، ولفظ استعمل مكان لفظ آخر لعلاقة غير المشابهة - وهو ماعرف بعده بالمجاز المرسل - ، وقد أوضح الإمام أموراً مهمة في هذين القسمين . ففي القسم الأول : الاستعارة .

الاستعارة مفيدة وغير مفيدة :

يقول : « وموضع هذا الذي لايفيد نقله حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضـاع اللغـة والتنوق في مراعاة دقائق في الفـروق في المعاني المدلول عليها ، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير . . . فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها من غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره ونقله عن أصله وجاز به موضعه . . . فهذا ونحوه لايفيدك شيئاً »[(١)] .

ثم عاد في نهاية الأسرار ورجع عن هذه التسمية فقال : « واعلم أن الواجب كان أن لا أعد وضع الشفة موضع الجحفلة والجحفلة في مكان المشفر ونظائره التي قدمت ذكرها في الاستعارة وأضن باسمها أن يقع عليه ، ولكني رأيتهم قد خلطوه بالاستعارات وعدوه معدها فكرهت التشدد في الخلاف ، واعتددت به في الجملة ونبهت على ضعف أمره بأن سميته استعارة غير مفيدة »[(٢)] يؤكد بذلك على أهميـــة

---

(١) الأسرار ص٢٩ ، ٣٠ .

(٢) نفس المرجع ص٣٧٣ .

وجود التشبيه ، فمالم يكن فيه تشبيه أسماه استعارة غير مفيدة . وخلاصة القول في هذا : أن الاستعارة لاتكون إلا حيث يكون التشبيه ، وقد أوضح الإمام أن هناك نقلاً لفائدة ولكنه لايُعد استعارة لأنه لايعتمد على التشبيه - وهو القسم الثاني من المجاز - وذلك لما رأى الناس يخلطون بينه وبين الاستعارة ، فهاهو ذا ابن دريد يعقد باباً للاستعارات يقول فيه : « والوغى اختلاط الأصوات في الحرب ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى - قال الراجز :

اضمامة من ذودها الثلثين لها وغى مثل وغى الثمانين*

يعني اختلاط أصواتها . . . والغيث المطر ثم صار مانبت بالغيث غيثاً ويقال أصابنا غيث ورعينا الغيث والسماء المعروفة ثم كثر ذلك حتى سمي المطر سماء وتقول العرب مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم أي مواقع الغيث . . . ، والظعينة أصلها المرأة في الهودج ثم صار البعير ظعينة والهودج ظعينة »[١] .

ومما لاشك فيه أن ليست العلاقة بين الحرب والوغى وبين النبت والغيث وبين الهودج والظعينة المشابهة ، فالنقل هنا لم يكن لأجل شبه بين المنقول والمنقول إليه بل « بسبب اختصاص وضرب من الملابسة »[٢] فكأن الحرب أمر عام والوغى من خصوصيات الحرب ثم أطلق الخاص (الوغى) على العام (الحرب) فكانت العلاقة « الخصوصية » . وفي قولنا « رعينا الغيث » المراد : النبات ، والغيث سبب في وجود النبات ، فالعلاقة بين المنقول والمنقول إليه « السببية » . وكذلك فإن العلاقة بين الهودج والمرأة « الحالّيّة » لأن المرأة تحل في الهودج .

(*) إضمامة : جماعة من الناس ليس أصلهم واحد لكنهم لفيف .

(١) الجمهرة لابن دريد ج٣ ص٤٣٣ .

(٢) الأسرار ص ٣٦٩ .

وقد ذكر ابن دريد فيما ذكر أموراً هي قبيل الاستعارة كقوله « والظمأ العطش وشهوة الماء ثم كثر ذلك فقالوا ظمئت إلى لقائك »[1] فاشتياق الإنسان وحاجته لرؤية صديق كاحتياج الإنسان الظمآن إلى الماء .

هذا وقد أشار عبدالقاهر إلى عالم آخر خلط بين النوعين وهو الآمدى . يقول الإمام : « ثم قال[2] : ألا ترى إلى قول مهلهل :

واستب بعدك ياكليب المجلس

على الاستعارة . فأطلق لفظ الاستعارة على وقوع المجلس هنا بمعنى القوم الذين يجتمعون في الأمور ، وليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه بل على حد وقوع الشيء على مايتصل به وتكثر ملابسته إياه ، وأي شبه يكون بين القوم ومكانهم الذي يجتمعون فيه ؟ إلا أنه لايعتد بمثل هذا فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة »[3] .

فواضح أن عبدالقاهر يفطن إلى المجاز المرسل دون أن يسميه تسميةً صريحةً ، وعدم وجود الشبه بين القوم ومكانهم أخرج الكلام من باب الاستعارة فكأن « التشبيه تقييد » و « عدم التشبيه » إرسال للعبارة عند عبدالقاهر إذ يقول : « فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة » .

والقسم الأول - الاستعارة - وهو موضوع بحثنا ، قد أولاه عبدالقاهر اهتماماً بالغاً وفصله تفصيلاً لم يسبق إليه أحد من علماء البلاغة .

---

(١) جمهرة ابن دريد ج٣ ص٤٣٣ .

(٢) أي الآمدى .

(٣) أسرار البلاغة ص٣٧١ .

الاستعارة من البديع :

لما كانت الاستعارة تحتوي على عنصر الإبداع بشكل أعمق مما هو في التشبيه ، ذهب القدماء إلى عدّها من أقسام البديع . فهذا الجاحظ يقول : « ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي . . . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين ، كنحو : منصور النمري ، ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما »[١] .

وهاهو ذا « ابن المعتز » يجعل الاستعارة على رأس أبواب البديع في كتابه[٢] والآمدي ينقل عن صاحب البحتري قوله : « ولكنه رأى[*] هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع - وهي : الاستعارة ، والطباق ، والتجنيس - منشورة متفرقة في أشعار المتقدمين ، فقصدها ، وأكثر في شعره منها »[٣] .

ويتحدث القاضي الجرجاني عن قصيدة لأبي تمام فيقول : « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة ، طابق وجانس ، واستعار فأحسن . . . وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته . . . ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولاتحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض . وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها . . فلما رأووا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع . . . »[٤] .

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص٥١ ، وانظر أيضاً نفس المرجع ج٤ ص٥٥ ، ٥٦ .

(٢) البديع ص٣ .

(*) الضمير في « رأى » يعود على مسلم بن الوليد .

(٣) الموازنة ص١٧ . (٤) الوساطة ص٣٣ ، ٣٤ .

فالجاحظ وابن المعتز والآمدي والجرجاني كما هو واضح يضعونها كغيرها من جميع الألوان البيانية في « البديع » . أما العسكري فلم يذكرها في أنواع البديع .

وإذا بحثنا عنها عند الإمام عبدالقاهر وجدناه يعدّها من أقسام البديع بقوله : « وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع . . . »[1] .

وهو يؤكد على أن الاستعارة من البديع عندما ينقل عن السابقين ، ويقول : « قال القاضي أبوالحسن في أثناء فصل يذكرها فيه : وملاك الاستعارة تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار منه ، وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر وغير ذلك من غير أن يشترطوا شرطاً ويعقبوا ذكرها بتقييد فيقولوا : ومن البديع الاستعارة التي من شأنها كذا »[2] .

ثم يقول ناقلاً عن الآمدي : « وقال الآمدي نفسه : ثم قد يأتي في الشعر ثلاثة أنواع أخر يكتسي المعنى العام بها بهاءً وحسناً حتى يخرج بعد عمومه إلى أن يصير مخصوصاً . ثم قال : وهذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع وهي : الاستعارة والطباق والتجنيس . فهذا نص في موضع القوانين على أن الاستعارة من أقسام البديع . . . »[3] .

لكن عبدالقاهر ومن سبقوه لم يقصدوا البديع بمعناه العلمي الذي عرف به عند المتأخرين إنما أراد به الشيء الجديد الرائع ، فالبديع من أبدع الشيء وابتدعه ، اخترعه وابتدع فلان هذه الركية ، وسقاء بديع : جديد[4] والبديع : من ابتدعت الشيء قولاً أو فعلاً ، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال ، والله بديع السمٰوات

---

(١) الأسرار ص٢٠ . (٢) نفس المرجع ص٣٦٨ .

(٣) نفس المرجع ص٣٧١ .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ص٣٢ .

والأرض . والعرب تقول : ابتَدع فلان الركيّ إذا استنبطه . وفلان بدع في هذا الأمر . قال الله تعالىٰ : ﴿ مَاكُنْتُ بدْعَاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾[1] أي ماكنت أول[2] .

هذا هو المقصود من البديع الذي عُدّت الاستعارة منه .

وقد ربط الإمام الاستعارة بأساسها وهو التشبيه فقال : « أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل »[3] .

---

(١) سورة الأحقاف ، آية ‹٩› .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج١ ، ص٢٠٩ .

(٣) الأسرار ص٢٠ .

تعريف الاستعارة :

« اعلم أن الاستعـارة في الجملـة أن يكون للفـظ أصـل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنـه اختـص به حين وضـع ، ثم يستعمله الشاعـر أو غيـر الشاعـر في غيـر ذلك الأصل وينقلـه إليه نقلاً غيـر لازم فيكـون هنـاك كالعاريّـة »[1] .

والناظر إلى هذا التعريف يجده قريباً من تعريفات السابقين ، فالاستعارة نقل للكلمة من معناها اللغوي إلى معنى آخر لم تعرف به ، وكما هو واضح ليس في هذا التعريف إشارة إلى القرينة ولا إلى العلاقة وهي التشبيه ، وليس معنى ذلك أن عبدالقاهر لم ينبه إليهما لأنه قد ذكرهما في مواطن أخرى .

وعلى هذا فالاستعارة إلى هنا لاتعني سوى نقل الكلمة من معناها الذي عرفت به إلى معنى آخر غير ذلك المعنى ، أو هي استعمال الكلمة في غير ماوضعت له أساساً ، هذا النقل أو هذا الاستعمال لايكون ثابتاً وإنما هو بمثابة العاريـة .

لكنه بعد الإمعان في الشرح والتفصيل في الاستعارة نجده يبين حقيقة الاستعارة وأنها ليست مجرد النقل وإنما هي ادعـاء ، وكأنه أراد بتعريفه الأول أن يكـون مدخلاً لتوضيح معنى الاستعارة .

فإن « المجاز ، مفعل - من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه . وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً »[2] .

والاستعارة مقصورة « على مانقله نقل التشبيه للمبالغة »[3] .

---

(١) الأسرار ص٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص٣٦٥ .

(٣) نفس المرجع ص٣٧٠ .

وحيث إن المجاز في اللغة من جاز يجوز المكان إذا تعداه أي الانتقال من مكان إلى آخر ، وفي الاصطلاح : الانتقال بالكلمة من معنى عرفت به إلى معنى آخر لم تعرف به لعلاقة المشابهة أو غيرها . والاستعارة مجازٌ العلاقة فيه المشابهة ، فعلى هذا تكون الاستعارة انتقال بالكلمة من معنى إلى آخر لعلاقة المشابهة .

فجعل الانتقال أساساً وخطوة أولى لعملية الاستعارة ، وبعد أن انتهى الإمام من إثبات هذا المبدأ الأساسي ، انتقل إلى حقيقة الاستعارة والصورة التي تظهر بها وما بداخلها من معانٍ ، فبدأ بتأكيد فكرة الادعاء في الاستعارة ، التي تعني الاتحاد بين المشبه والمشبه به إلى درجة تُمكّن المستعير من جعل أحدهما الآخر . وقد اعتمد على كثير من الأدلة نوردها فيما يلي :

١ - يقول عبدالقاهر : « وفي الفعل والصفة شيء آخر وهو أنك تدعي معنى اللفظ المستعار للمستعار له ، فإذا قلت : « قد أنارت حجته » و « هذه حجة منيرة » فقد ادعيت للحجة النور »[١] . ونتيجة لما تظهره الحجة من إيضاح وبيان للأمور فقد ادّعي النور للحجة كقولك « أنارت حجته » أو « هذه حجة منيرة » .

٢ - والادعاء ليس في الفعل والصفة فقط بل في الاستعارة بصورة عامة فـ « من شأنها أن تسقط ذكر المشبه من البين وتطرحه وتدعي له الاسم الموضوع للمشبه بـه ، كمـا مضى من قولـك « رأيت أسـداً » تريـد رجـلاً شجـاعاً و « وردت بحراً زاخراً » تريد رجلاً كثير الجود فائض الكف ، و « أبديت نوراً » تريد علماً وما شاكل ذلك »[٢] .

فإسقاط ذكر المشبه - الرجل الشجاع - في قولك « رأيت أسداً » إنما هو ادعاء الأسدية له .

---

(١) نفس المرجع ص٢٢٢ ، ٢٢٣ .　　(٢) نفس المرجع ص٢٢٣ .

٣ - فالاستعارة لاتعني مجرد النقل لأنه لايمكن إطلاق الاستعارة على كل مانقل ، إذ إنه لو كان اللفظ يستحق الوصف بالاستعارة بمجرد النقل لجاز أن يطلق على الأسماء المنقولة من الأجناس إلى الأعلام لفظ « مستعارة » فيقال « حجر » مستعار في اسم الرجل ولزم كذلك في الفعل المنقول إلى العلمية نحو « يزيد » و « يشكر » في الصوت نحو « ببه »[١] وذلك كقول هند بنت أبي سفيان :

والله رب الكعبة　　لأنكحن ببّه

جارية خِدبه　　مكرمة محبّة

تحب من أحبّه　　تجبُّ أهل الكعبة[٢]

وانتقال لفظ « ببه » من الصوت إلى اسم الشخص لايعطي معنى الاستعارة ، فالاستعارة قائمة على التشبيه ، ولاعلاقة بين « ببه » الصوت « وببه » الشخص لا في تشبيه ولا في غير التشبيه .

حتى إن وجدت العلاقة بين المنقول والمنقول إليه ولم تكن التشبيه فإن ذلك لايعد استعارة وذلك ماحدث عند « ابن دريد » في « باب الاستعارات »[٣] - كما بينت سابقاً - وقد أوضح عبدالقاهر السبب في هذا الخلط فقال : « فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ماهو تشبيه كما هو شرط أهل العلم بالشعر وعلى ماليس من التشبيه في شيء ولكنه نقل اللفظ عن الشيء إلى شيء بسبب اختصاص وضرب من الملابسة بينهما وخلط أحدهما بالآخر أنهم كانوا نظروا إلى مايتعارفه الناس في معنى العاريّة وأنها

---

(١) نفس المرجع ص٣٧٤ .

(٢) الجمهرة لابن دريد ج١ ص٢٤ .

(٣) نفس المرجع ج٣ ص٤٣٢ .

شيء حول عن مالكه ونقل عن مقره الذي هو أصل في استحقاقه إلى ماليس بأصل ولم يراعوا عرف القوم »[١] فالأساس عندهم هو النقل فقط ، وإذا كان عبدالقاهر قد قال بفكرة النقل في مواضع في « الأسرار » فقد نفاها في مواضع أخرى في نفس الكتاب موضحاً أهمية فكرة الادعاء ، كما نجده يؤكد على هذه الفكرة الأخيرة في الدلائل ويبطل كلام القائلين بالنقل المجرد مثبتاً ذلك بالأمثلة وتحليلها .

٤ - إن سر بلاغة الاستعارة عند عبدالقاهر في الإثبات ، لأن موضوعها قائم على إثبات معنى يُفهم من معنى اللفظ لا من اللفظ نفسه ، بيان ذلك أنك إذا قلت « رأيت أسداً » كنت قد أفدت معنيين : الأول : وقوع الرؤية منك على الأسد ، والثاني : تشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة ، والشجاعة هي الشيء المثبت لهذا الرجل ، وسر بلاغة الاستعارة لايكمن في الكلام المتروك على ظاهره - المعنى الأول - ولا في المبالغة في شجاعة الرجل ومساواته بالأسد - المعنى الثاني - بل في التأكيد على إثبات المساواة في الشجاعة . يقول عبدالقاهر : « ليست المزية التي تراها لقولك : « رأيت أسداً » ، على قولك : « رأيت رجلاً لايتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته » أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد ، بل أن أفدت تأكيداً وتشديداً وقوةً في إثباتك له هذه المساواة ، وفي تقريرك لها ، فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته ، بل في إيجابه والحكم به »[٢] . فالمزية ليست في ذات المعنى المثبت بل في إثبات هذا المعنى[٣] .

---

(١) الأسرار ص٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ص٧١ .

(٣) كل هذا تمهيداً ليصل في النهاية إلى إبطال فكرة « النقل » وإثبات « الادعاء » .

وزيادة في الإقناع يورد عبدالقاهر بعض الاحتجاجات التي قد تتبادر إلى الأذهان أنها ضد فكرته فيقول : « واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يظن من أجله أنه ينبغي أن يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة ، أنها تحدث في المثبت دون الإثبات وذلك أن تقول : إنا إذا نظرنا إلى الاستعارة وجدناها إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قوة الشبه ، وأنه قد تناهى إلى أن صار المشبه لايتميز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شُبّه به . وإذا كان كذلك ، كانت المزية الحادثة بها حادثة في الشبه . وإذا كانت حادثة في الشبه ، كانت في المثبت دون الإثبات »[1] فالكلام هنا قائم على أن المزية في المثبت لا في الإثبات أي أن المزية كانت في أن تناهى الشبه في القوة إلى أن صار المشبه لايتميز عن المشبه به في معنى الشجاعة . فالمزية إذن حادثة في الشبه . لذلك فهي في المثبت دون الإثبات .

ثم يوضح عبدالقاهر بطلان هذه الفكرة مؤكداً على أن المزية في الإثبات لا في المثبت ، يقول : « الجواب على ذلك أن يقال : إن الاستعارة ، لعمري ، تقتضي قوة الشبه وكونه بحيث لايتميز المشبه عن المشبه به ، ولكن ليس ذاك سبب المزية ، وذلك لأنه لو كان ذاك سبب المزية ، لكان ينبغي إذا جئت به صريحاً فقلت : « رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة ، وبحيث لولا صورته لظننت أنك رأيت أسداً » وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ، أن تجد لكلامك المزية التي تجدها لقولك : « رأيت أسداً » . وليس يخفى على عاقل أن ذلك لا يكون »[2] .

يسلم عبدالقاهر بأن الاستعارة تقتضي قوة الشبه ، لكن قوة الشبه هذه ليست سبب المزية ، لأنك في قولك : « رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة ،

---

(١) الدلائل ص٤٤٨ .   (٢) نفس المرجع ص٤٤٨ - ٤٤٩ .

وبحيث لولا صورتـه لظننتَ أنك رأيت أســداً » تظهر قــوة في الشبه بين المشبه والمشبه به . ولو كانت المزية في هذا لتساوت هذه الجملة - رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة - بقولنا - رأيت أســداً » . وذلك لايكــون ، لأن في قولنا : « رأيت أسداً » تأكيداً وقوة في إثبات هذه المساواة للمشبه .

وإذا قيل : إن مزية المساواة في قولنا : « رأيت أسداً » تفهم من طريق المعنى ، وفي قولنا : « رأيت رجلاً مساوياً للأسد » تفهم عن طريق اللفظ . فالجواب عن ذلك أن يقال : إن معنى المساواة في الشجاعة لايتغير في كلتا الحالتين ، فذكر العبارة على حقيقتها في « رأيت رجلاً مساوياً للأسد » يفيـد مســاواة الرجل بالأسد في الشجاعة ، أما قولنا « رأيت أسداً » ففيه تأكيد لإثبات هذه المساواة . وقول الشاعر :

فأسبلت لؤلؤاً من نرجس ، وسقت وردا ، وعضت على العناب بالبرد

يفيد أن الدمع لاينقص من شبه اللؤلؤ شيئاً ، والعين كذلك مساوية للنرجس في الشبه ، لكن سبب الحسن الذي نراه وسبب الأريحية التي نشعر بها لايرجع إلى ذلك فحسب بل لأن مثل هذا التعبير يفيد التأكيد على إثبات شدة الشبه لدرجة تتلاشى فيها الأبعاد بين المشبه والمشبه به ، وهذه هي وظيفة الاستعارة وسبب المبالغة فيها . لأن المساواه في الشبه يمكن الحصول عليها بصريح العبارة كأن نقول : فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه ، من عين كأنها النرجس حقيقة[1] . لذلك كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لإفادتها مالاتفيده الحقيقة . ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة فإن ذلك يثبت أنها ليست لمجرد النقل ، إذ إنها لو كانت مجرد نقل اسم من شيء إلى شيء آخر

---

(١) نفس المرجع ص٤٤٩ ، ٤٥٠ بتصرف .

ماكان لها فضل ومزية على الحقيقة ، يقول عبدالقاهر : « ومن أجل أن كان الأمر كذلك ، رأيت العقلاء كلهم يثبتون القول بأن من شأن الاستعارة أن تكون أبداً أبلغ من الحقيقة ، وإلا فإن كان ليس ههنا إلا نقل اسم من شيء إلى شيء ، فمن أين يجب ، ليت شعري ، أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ويكون لقولنا : « رأيت أسداً » ، مزية على قولنا : « رأيت شبيهاً بالأسد ؟ » وقد علمنا أنه محال أن يتغير الشيء في نفسه ، بأن ينقل إليه اسم قد وضع لغيره ، من بعد أن لايراد من معنى ذلك الاسم فيه شيء بوجه من الوجوه ، بل يجعل كأنه لم يوضع لذلك المعنى الأصلي أصلاً ، وفي أي عقل يتصور أن يتغير معنى « شبيهاً بالأسد » ، بأن يوضع لفظ « أسد » عليه ، وينقل إليه » ؟[1] .

٥ - يستمر عبدالقاهر كعادته في الشرح والتفصيل لإثبات فكرة الادعاء فيقول : « واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم ، إذا قاسوا وشبهوا ، على أن الأشياء تستحق الأسامي لخواص معان هي فيها دون ماعداها ، فإذا أثبتوا خاصة الشيء لشيء ، أثبتوا له اسمه ، فإذا جعلوا « الرجل » بحيث لاتنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولايعدم منها شيئاً ، قالوا : « هو أسد » وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة ، أو بالحسن الذي يبهر قالوا : « هو ملك » وإذا وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا : « هو مسك » وكذلك الحكم أبداً ثم إنهم إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا : ليس هو بإنسان وإنما هو أسد ، وليس هو آدمياً ، وإنما هو ملك . كما قال الله تعالىٰ : ﴿ مَاهَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاّ مَلَكٌ كَرِيم ﴾[2] ثم إن لم يريدوا أن

---

(١) نفس المرجع ص٤٣٢ ، ٤٣٣ .

(٢) سورة يوسف ، آية ‹٣١› .

يخرجوه عن جنسه جملة قالوا : « هو أسد في صورة إنسان » و « هو ملك في صــورة آدمــي » . وقد خرج هذا للمتنبي في أحسن عبارة ، وذلك في قولـه :

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال[١]

فكما هو واضح من النص أن العرب إذا أراودا إثبات صفة شيء لشيء آخر أثبتوا له اسمه فقالوا فيمن لاتنقص شجاعته عن الأسد « هو أسد » وإذا بالغوا في ذلك نفوا عنــه اسم جنسه « الإنسانية » فقالوا : « ليس هو بإنسان ، وإنما هو أسد » . وإن لم يريدوا إخراجه عن جنسه قالوا : « هو أسد في صورة إنسان » . وذلك مانجده في بيت المتنبي المذكور . يقول إنهم كالجن في اعتياد المجاهل والفلوات لكنهم في صورة الناس ، وكذلك ركائبهم كالطير في سرعة قطع المسافات إلا أنها في صورة جمال . واستناداً إلى صحة ذلك تبطل فكرة الاقتصار على مجرد النقل ، فالاستعارة إذن ليست مجرد النقل بل ادعاء معنى الاسم ، لأنها لو كانت مجرد نقل وكان قولنا « رأيت أسداً » لايعني الأسدية على الحقيقة بل يعني رؤية شبيه بالأسد فإنه من المحال في هذه الحالة أن تقول : ليس هو بإنسان ، ولكنه أسد ، أو هو أسد في صورة إنسان ، وكذلك لايمكن أن يقال : ليس هو بإنسان ولكنه شبيه بأسد أو يقال : هو شبيه بأسد في صورة إنسان[٢] .

٦ - قول عبدالقاهر في رده على القاضي الذي يقول : « وإنما الاستعارة ما اكتفــى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها »[٣] .

---

(١) الدلائل ص٤٣٣ - ٤٣٤ . (٢) نفس المرجع ص٤٣٤ بتصرف .

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص٤١ .

وعلى الرماني الذي يقول : « الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة »[١] .

يقول الإمام في إبطال ماقالاه وإثباتِ فكرة الادعاء : « وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل للعبارة عما وضعت له ، من ذلك ، فلايصح الأخذ به . وذلك أنك إذا كنت لاتطلق اسم « الأسد » على الرجل ، إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بيّنا ، لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة ، لأنك إنما تكون ناقلاً ، إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك ، ونفضت به يدك ، فأما أن تكون ناقلاً له عن معناه ، مع إرادة معناه ، فمحال متناقض »[٢] فاستعارتك اسم الأسد للرجل لاتكون إلا من بعد أن تجعل الرجل من جنس الأسود ، وذلك لايكون مجرد نقل لأن النقل يعني إخراج معنى « الاسم » الأصلي من القصد ، وهذا مايقصد في الاستعارة .

وعليه فإن الاستعارة لاتعني النقل المجرد بل الادعاء .

فإثبات المعنى ، والمبالغة فيه ، وكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، وإدخال المشبه في جنس المشبه به ، كل هذه الأمور تنفي أن تكون الاستعارة مجرد النقل .

٧ - ودليل آخر على أن الاستعارة ليست نقلاً ، هو وجود نوع من الاستعارات لا يتصور فيه النقل مطلقاً وهو ماعرف فيما بعد عبدالقاهر بالاستعارة المكنية . يوضح هذا الجانب الإمام قائلاً : « واعلم أن في الاستعارة مالا يتصور تقدير النقل فيه البته ، وذلك مثل قول لبيد :

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٧٩ .

(٢) الدلائل ص٤٣٥ .

وغداة ريح قد كشفت وقـرة   إذ أصبحت بيد الشمال زمامهـا

لاخلاف في أن « اليد » استعارة ، ثم إنك لاتستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء . وذلك أنه ليس المعنى على أنه شبّه شيئاً باليد ، ويمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ اليد إليه ، وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال في تصريفها « الغداة » على طبيعتها ، شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد . فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد استعار لها « اليد » وكما لايمكن تقدير « النقل » في لفظ « اليد » ، كذلك لايمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ ، ألا ترى أنه محال أن تقول : « إنه استعار لفظ اليد للشمال »[(١)] .

لأننا عندما نقول « رأيت أسداً » فإننا بقولنا « أسداً » نشير إلى رجل ، وإذا قلنا « عنت لنا ظبية » فإننا نشير بالظبية إلى المرأة الحسناء ، ففي هذه الاستعارة يمكن القول بالنقل ، لكننا في النوع الثاني - الاستعارة المكنية - لايمكن أن نتصور النقل بتاتاً ، ففي بيت لبيد لانستطيع القول أن « اليد » قد نقلت من معنى إلى آخر لأن الشاعر لم يرد تشبيه شيء باليد كما أردنا تشبيه الرجل بالأسد في قولنا « رأيت أسداً » وإنما « أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرف الإنسان في الشيء يقلبه فاستعار لها اليد حتى يبالغ في تحقيق الشبه ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كناية عنه ولكنه وفّى المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً ليكون أتم في إثباتها مصرَّفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها مصرَّفة »[(٢)] .

فطبيعة الاستعارة المكنية دليل على أن الاستعارة ليست نقــلاً ، - وسيـأتي

---

(١) الدلائل ص٤٣٥ - ٤٣٦ .   (٢) الأسرار ص٤٤ .

الحديث عنها في فصل : أقسام الاستعارة - إن شاء الله - وهذه الحجة - الاستعارة المكنية - لاتثبت فكرة الادعاء التي نحن بصددها ، لكنها تثبت أن الاستعارة ليست نقلاً . فإذا لم تكن الاستعارة نقلاً ، فماذا تكون؟ لابد وأنها تفيد أبعد من النقل ، فكأن في هذا إشارة إلى معنى الادعاء .

٨ - ثم يذكر عبدالقاهر دليلاً آخر على أن الاستعارة تكون في المعنى يقول فيه : « واعلم أنك تراهم لايمتنعون إذا تكلموا في الاستعارة من أن يقولوا : « إنه أراد المبالغة فجعله أسداً » ، بل هم يلجأون إلى القول به . وذلك صريح في أن الأصل فيها المعنى ، وأنه المستعار في الحقيقة ، وأن قولنا : « استعير له اسم الأسد » ، إشارة إلى أنه استعير له معناه ، وأنه جعل إياه . وذلك أنا لو لم نقل ذلك ، لم يكن « لجعل » ههنا معنى ، لأن « جعل » لايصلح إلا حيث يراد إثبات صفة للشيء ، كقولنا : « جعلته أميراً وجعلته لصاً ، تريد أنك أثبت له الإمارة ، ونسبته إلى اللصوصية وادعيتها عليه ورميته بها »[١] .

إن قولنا « جعله أسداً » في الاستعارة يدل على أنها ادعاء معنى الاسم لأن « جعل » تعني إثبات صفة للشيء ، فقولنا : « جعلته أميراً » أي أثبت له صفة الإمارة وادعيتها عليه .

هذا هو معنى « جعل » ، أمّا من يقول بأن « جعل » بمعنى « سمّى » فمن باب التساهل لأن حكمَ « جعل » إذا تعدى إلى مفعولين حكمُ «صيّر» ، فالحكم في « صيرته أميراً » كالحكم في « جعلته أسداً » وكما أن « صيرته أميراً » يعني إثبات صفة الإمارة له فكذلك « جعلته أسداً » يعني إثبات صفة الشجاعة له .

---

(١) الدلائل ص٤٣٧ - ٤٣٨ .

وإن كنا نجد من يقول بأن « جعل » يكون بمعنى « سمّى » فمن باب التسامح أيضاً . ذلك أن من يقول « أنا لا أسميه إنساناً » فالذي لاشك فيه أنه يريد أن ينفي عنه المعاني التي بها كان الإنسان إنساناً . أمّا مساواة « جعل » بـ « سمّى » مساواةً تامةً في المعنى فمما لاشك في فساده ، لأنه لايمكن القول بأن « جعله زيداً » بمعنى « سماه زيداً » ولاتقول « اجعل ابنك زيداً » بمعنى « سمه زيداً » .

ومما يزيد الأمر وضوحاً نظرنا إلى قولهم : « جعل » بمعنى « سمّى » في قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرّحْمَٰنِ إنَاثاً ﴾[1] ، فقد نجد في تفسير هذه الآية أن « جعل » بمعنى « سمّى » . وهذا يثبت أن ليس المعنى على مجرد التسمية بل على إثبات صفات الإناث للملائكة واعتقاد وجودها فيهم .

أمّا أن يكون المعنى على التسمية فقط فمحال ، لأن مجرد التسمية لايخرجهم إلى الكفر ولايوجب لهم إلا القليل من الذّم . هذا بالإضافة إلى قوله تعالىٰ فيما بعد : ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتهمْ وَيُسْألُونَ ﴾[2] دليل على اعتقادهم بإثبات صفة الإناث للملائكة ، لأنه لو كان مجرد إطلاق الاسم لما جاءت الإجابة بقوله : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ والتفسير الصحيح والعبارة المستقيمة ، ماقاله أبو إسحٰق الزجاج رحمه الله ، فإنه قال : « إن « الجعل » ههنا في معنى القول والحكم على الشيء ، يقول : « قد جعلت زيداً أعلم الناس ، أي وصفته بذلك وحكمت به »[3] .

---

(١) سورة الزخرف ، آية ‹١٩› .

(٢) نفس السورة ، آية ‹١٩› .

(٣) الدلائل ص٤٣٩ .

الفصل الأول « ب »

الاستعارة والمجاز لغوياً وعقلياً

تستعمل كلمة عقلي استعمالين ، فتكون مرة صفة للمجاز الإسنادي أو الحكمي - وهو إسناد الفعل أو ما في معناه لغير ماهو له - ومرة مقابلة للمجاز اللغوي - بمعنى أن التصرف في نقل الكلمة من معناها الأول إلى المعنى الثاني ناشيء عن نظر عقلي لا لغوي - والأخير هو مدار حديثنا .

وقد أجمع جلّة علماء البلاغة على أن الاستعارة مجاز لغوي .

أما عبدالقاهر فنجده في الدلائل يقول : « وإذ قد عرفت هذا في «الكناية» ، فالاستعارة في هذه القضية وذاك أن موضوعها على أنك تثبت بها معنى لايعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ »[1] .

ويقول في موضع آخر : « فإذا ثبت أن ليست الاستعارة نقل الاسم ، ولكن ادعاء معنى الاسم وكنّا إذا عقلنا من قول الرجل : « رأيت أسداً » ، أنه أراد به المبالغة في وصفه بالشجاعة ، وأن يقول : إنه من قوّة القلب ، ومن فرط البسالة وشدة البطش ، وفي أن الخوف لايخامره ، والذعر لايعرض له ، بحيث لاينقص عن الأسد ، لم تعقل ذلك من لفظ أسد ولكن من ادعائه معنى الأسد الذي رآه ، ثبت بذلك أن الاستعارة كالكناية ، في أنك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ »[2] ومراد عبدالقاهر بـ « طريق المعقول : أن هذا الإدراك يكون عن طريق العقل لاعن طريق اللغة ، وعلى هذا تكون الاستعارة مجازاً عقلياً ، ودليله على ذلك أن الكلمة المسماة بالاستعارة لاتطلق إلا بعد ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به « بحيث تصير حقيقة المشبه بها الموضوع لها اللفظ شاملةً للمشبه بإدخاله في جملة أفراده بالادعاء العقلي وبالاعتقاد التقديري المبني على المشابهة ، فالأسد

(١) الدلائل ص٤٣١ .   (٢) نفس المرجع ص٤٣٩ - ٤٤٠ .

مثلاً لمّا لم يطلق على الرجل الشجاع حتى جعل فرداً من أفراد الأسد بالادعاء»[١] وإذا كان العقل قد صيّره من أفراده التي وضع لحقيقتها فإن الكلمة المسماة بالاستعارة تكون قد استعملت فيما وضعت له » ، فالتجوز في الحقيقة إنما كان في المعاني بجعل بعضها نفس غيرها ثم أطلق اللفظ ، فتسميته مجازاً عقلياً ظاهراً نظراً لسبب إطلاقه وأما تسميتها استعارة فبإعطاء حكم المعنى للفظ لأن المستعار في الحقيقة على هذا هو المشبه به بجعل حقيقته لما ليس حقيقة له وهو المشبه ، ولما تبع ذلك إطلاق اللفظ سمي استعارة »[٢] .

فقول عبدالقاهر : « أنك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ »[٣] تأكيد على أن الاستعارة مجاز عقلي ونفي أن يكون للغة دور في ذلك وهذا ينافي ماجاء في الأسرار ، فقد عدّها فيه من قبيل المجاز اللغوي إذ يقول : « واعلم أن المجاز على ضربين مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمعقول فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا : « اليد مجاز في النعمة » و « الأسد مجاز في الإنسان وكل ماليس بالسبع المعروف » كان حكماً أجريناه على ماجرى عليه من طريق اللغة ، لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة وأوقعها على غير ذلك إمّا تشبيهاً وإما لصلة وملابسة بين مانقلها إليه ومانقلها عنه »[٤] .

فقولنا « رأيت أسداً » تجوّز في لفظة « أسد » لأن المقصود بالأسد الإنسان فالتصرف هنا في أمر لغوي ، لاستعمالنا كلمة « أسد » في غير ما وضعت له في

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ص٥٩ ، ٦٠ .

(٢) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ص٦٠ .

(٣) الدلائل ص٤٤٠ .

(٤) الأسرار ص٣٧٦ .

اصطلاح التخاطب . وحيث إن التصرف في أمر لغوي فالاستعارة مجاز لغوي ، وقد جاء في الإيضاح أن هناك من جعل الاستعارة مجازاً عقلياً ، لكن صاحبي الإيضاح والمفتاح يرجحان أنها من قبيل المجاز اللغوي ، لأن اللفظ المسمى بالاستعارة قد وُضع للمشبه به ولم يوضع للمشبه ولا لأعم من المشبه والمشبه به ، وإذا لم يوضع للمشبه ولا للشجاعة - مثلاً - فاستعماله في المشبه مجاز لغوي ، لأنه في هذه الحالة لفظ استعمل في غير ما وضع له وهذا هو معنى المجاز اللغوي[(١)] .

والذي نود أن نشير إليه هنا هو أن عبدالقاهر يرى أن الاستعارة من قبيل المجاز اللغوي ، ففي كتاب الدلائل - الذي ذكر فيه أن الاستعارة مجاز عقلي - يقول : « الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة »[(٢)] فالتجوز في نفس الكلمة يعني أن الاستعارة مجاز لغوي .

ومما يدفعنا إلى القول بأن عبدالقاهر لم يناقض نفسه ، قوله في الأسرار : « ويلوح ههنا شيء ، وهو أنا وإن جعلنا الاستعارة من صفة اللفظ فقلنا « اسم مستعار » و « هذا اللفظ استعارة ههنا وحقيقة هناك » فإنا على ذلك نشير بها إلى المعنى من حيث قصدنا باستعارة الاسم أن نثبت أخص معانيه للمستعار له »[(٣)] .

وبهذا تكون الاستعارة مجازاً لغوياً من جهة وعقلياً من جهة أخرى ، ويؤكد الشيخ ذلك في موضع آخر إذ يقول : « فإن قال قائل : كان سياق هذا الكلام وتقريره يقتضي أن طريق المجاز كله العقل وأن لاحظّ للغة فيه ، وذاك أنا لا نجري اسم الأسد على المشبه بالأسد حتى ندعي له الأسدية وحتى نوهم أنه حين أعطاك من البسالة والبأس والبطش ماتجده عند الأسد صار كأنه واحد من الأسود قد

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح ص٥٦ - ٥٧ .

(٢) دلائل الإعجاز ص٢٩٩ .

(٣) الأسرار ص٣٧٤ ، ٣٧٥ .

استبدل بصورته صورة الإنسان ، وقد قدمت أنت فيما مضى مابيّن أنك لاتتجوز في إجـراء اسـم المشبـه به على المشبه حتى تخيّل إلى نفسك أنه هو بعينه ، فإذا كان الأمر كذلك فأنت في قولك : « رأيت أسداً » متجوز من طريق المعقول كما أنك كذلك في فعل الربيع .

وإذا كان كذلك عاد الحديث إلى أن المجاز فيهما جميعاً عقلي فكيف قسمته قسمين لغوي وعقلي ؟ فالجواب : إن هذا الذي زعمت - من أنك لاتجري اسم المشبه به على المشبه حتى تدّعي أنه قد صار من ذلك الجنس نحو أن تجعل الرجل كأنه في حقيقة الأسد - صحيح كما زعمت لايدفعه أحد وكيف السبيل إلى دفعه وعليه المعوّل في كون التشبيه على حد المبالغة وهو الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه المرسل ، إلا أن ههنا نكتة أخرى قد أغفلتها وهي أن تجوزك هذا الذي طريقه العقل يفضي بك إلى أن تجري الاسم على شيء لم يوضع له في اللغة على كل حال فتجوز بالاسم على الجملة الشيء الذي وضع له ، فمن ههنا جعلنا اللغة طريقاً فيـه »[1] .

وبالعودة إلى ماقاله عبدالقاهر في الدلائل من أن الاستعارة يُعرف المعنى فيها من طريق « المعقول » دون طريق اللفظ ومقارنته بما ورد في هذا النص الأخير يتأكد لنا عدم تناقض عبدالقاهر ، ذلك لأنه يسلم بأن فكـرة « الادعاء » تكون عن طريق العقل ، لكنه يبين أن الأساس في التجوز هو تجوّز في الكلمة نفسها ، لذلك كانت الاستعارة مجازاً لغوياً حتى وإن كان العقل طريقاً فيها .

---

(١) نفس المرجع ص٣٧٩ ، ٣٨٠ .

الفصل الثاني

مكان الاستعارة
بين التشبيه والتمثيـــــل

مكان الاستعارة بين التشبيه والتمثيل

واضح من كلام الشيخ أن الأولى البدء بالكلام عن المجاز « واعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر ، ومايسبق إلى الفكر ، أن يبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ويتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم ينسق ذكر الاستعارة عليهما ، ويؤتى بها في أثرهما ، وذلك أن المجاز أعمّ من الاستعارة والواجب في قضايا المراتب أن يبدأ بالعام قبل الخاص ، والتشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيه بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره ، إلا أن ههنا أموراً اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة وبيان صور منها والتنبيه على طريق الانقسام فيها حتى إذا عرف بعض مايكشف عن حالها ، ويقف على سعة مجالها ، عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين فوفى حقوقهما . وبُيّن فروقهما ، ثم ينصرف إلى استقصاء : الكلام في الاستعارة »[1] .

ولم يذكر الشيخ عبدالقاهر هذه الأمور التي اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة ، ولعل منها أنه بدأ كتابه بالحديث عن اللفظ والمعنى وهو يعد بلاغة الاستعارة من شواهد هذه القضية . ولعل منها - أيضاً - أنه بدأ الحديث عن الجناس والطباق والحشو ، وهي من ألوان البديع والشيخ يعد الاستعارة بديعاً فالمناسبة ظاهرة بين ذكر الاستعارة مع هذه الألوان ، وتقديم الحديث عنها مع أن قضايا المراتب كانت تقتضي تأخيرها عن المجاز . كما أن التشبيه لما كان أصلاً لها كان ينبغي أن يبحث فيه قبلها .

ونلحظ أن عبدالقاهر يضع هنا مبدأ مهماً من مبادىء التأليف والتعليم ، وهي لفتة ذكية واعية منه ، أن تُرتب القضايا والمعلومات فيُبدأ بالعام قبل الخاص . وفي غير هذا الموضع نجد له نظرات ثاقبة أيضاً في الطريقة المثلىٰ للتأليف والتعليم .

---

(١) الأسرار ص٢٨ .

وقد قسّم عبدالقاهر الاستعارة - من حيث الفائدة - قسمين : مفيدة وخالية من الفائدة - كما سيتضح لنا فيما بعد - ومايهمنا هنا هو بيان أن الاستعارة المفيدة هي ما بُنيت على التشبيه . أما القسم الخالي من الفائدة فهو مايكون النقل فيه لغير فائدة وغرض . وقد أخرج عبدالقاهر هذا القسم من الاستعارة فيما بعد .

إذن فالتشبيه أصل في الاستعارة لكنه شيء وهي شيء آخر ، وإنما يكون التشبيه غرضاً في الاستعارة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبدالقاهر فصّل القول في التشبيه وبيّن أنه ليس من قبيل المجاز وكأنه في ذلك يرد على من عدّ التشبيه مجازاً كالذي نقله ابن رشيق إذ يقول : « فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز »[1] . ويقول في موضع آخر : « وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح ، لا على الحقيقة »[2] .

فقولنا « زيد أسد » على اعتبار تشبيه « زيد بالأسد » لا على الحقيقة بل من باب التسامح فقط ، لكن عبدالقاهر يخالف ابن رشيق ومن قال برأيه ويؤكّد على أن التشبيه من قبيل الحقيقة فيقول « كل متعاط لتشبيه صريح لايكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضي غرضه ، فإذا قلت « زيد كالأسد » و « هذا الخبر كالشمس في الشهرة » و « له رأي كالسيف في المضاء » لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه . ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لايكون في الدنيا تشبيه إلا وهو مجاز ، وهذا محال لأن التشبيه معنى من المعاني وله حروف وأسماء

---

(١) العمدة ج١ ص٢٦٦ .

(٢) نفس المرجع ج١ ص٢٦٨ .

تدل عليه ، فإذا صُرِّح بذكر ماهو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه »[١] .

ففي قولنا « زيد كالأسد » ، أردنا من لفظ « زيد » زيداً على الحقيقة ، ومن لفظ « الأسد » أسداً على الحقيقة ، وإنما قرنّا بينهما عن طريق الأداة ولم نخرج بأي من اللفظين عن دلالتـه الوضعية .

وكان ممن جاء بعد عبدالقاهر وتحدث في هذه القضية : ابن الأثير وابن قيم الجوزية . فابن الأثير في المثل السائر يذهب مذهب ابن رشيق من أن التشبيه مجاز فيقول « فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يجاز فيه . . . وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان ، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل ، كقولنا « زيد أسد » فإن زيداً إنسان ، والأسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية . . . »[٢] .

ويقول في موضع آخر « والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين : توسع في الكلام وتشبيه »[٣] ، وقال ابن قيم الجوزية : « والذي عليه جمهور أهل الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه »[٤] .

لقد عدّ ابن الأثير التشبيه مجازاً بحجة أن القائل « زيد أسد » قد خرج بزيد من الإنسانية إلى الأسدية وذلك بيّن الفساد ، لأن المجاز انتقال باللفظة نفسها من معنى إلى آخر ، وقولنا « زيد أسد » لاينطبق عليه ذلك لأن « زيداً » مستعمل على الحقيقة . ولايراد به غير الإنسان ، و « أسـداً » مستعمل على الحقيقـة -أيضاً- ولايراد به غير الحيوان المعروف ، وإنما جمع بينهما لتشابههما في الشجاعة

---

(١) الأسرار ص٢٢١ ، ٢٢٢ .
(٢) المثل السائر ج١ ص١٣١ .
(٣) نفس المرجع ج٢ ص٧٦ .
(٤) الفوائـد ص٥٤ .

مثلاً ، فأين يكون المجاز إذا كان كلّ ذلك حقيقة ، وبذلك يثبت أن مارتآه عبدالقاهـــر في هذه القضية هو الصواب فلايكون التشبيه إلا من باب الحقيقة . ولكن هذا الحكم يضطرب في نهاية « الأسرار » عندما يجيز عبدالقاهر دخول أمثلة من التشبيه في الاستعارة ، مثل « هو بحـر » .

وسبب تجاوز الإمام في اعتبار مثل هذا المثال من الاستعارة « أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه »[1] .

ولو رجع عبدالقاهر إلى ماذكره في البداية من أن التشبيه حقيقة ولايدخل في باب المجاز لقرر أن مثل هذا لايصلح إلا أن يكون تشبيهاً خاصةً وأنه رأى جواز دخول بعض أحرف التشبيه على « هو بحـر » إلا أنه وإن كان لايحسن فيه « الكاف » فإنه يحسن فيـه « كأن » كقولك « كأنه أسد » أو مايجرى مجرىٰ كأن في نحو : « تحسبه أسداً » و « تخاله سيفاً » .

وقبل أن نبدأ في بيان الفروق بين الاستعارة والتشبيه يجدر بنا إيضاح مثل قولنا « زيد أسد » هل هو تشبيه أو استعارة ؟

من علماء البلاغة من عدّ مثل هذا القول استعارة ومنهم من عدّه تشبيهاً ، فهذا المبرد يعقد باباً في التشبيه يعد فيه مثل هذا القول تشبيهاً ، فيقول : « وفي هذا الشعر من التشبيه* :

خبّـــر فــــؤادك أو ستخبــــره ... قسمـــاً لتنتهيـــن أو حلفـــــا

الحــــب ظهــــر أنت راكبــــه ... فـــإذا صرفت عِنانـــه انصرفـــا[2]

---

(١) الأسرار ص٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) الكامل ج٢ ص١٠٩ .

* لأبي نـواس الحســن بن هـــانيء ، فارسيّ الأم والأب أيضاً ، البلاغة تطور وتاريخ ، د . شوقي ضيف .

والشاهد في قوله « الحب ظهر » أي أن أبانواس يشبّه الحب بالدّابة التي تركبها فإن أنت استرسلت في أسبابه تمادى هذا الحب وانطلق كما تنطلق الدابة التي تُرك عنانها ، (وإن صرفت عنانه انصرف) .

فالحُكم في هذا أو مثله أن يكون تشبيهاً لوجود الطرفين .

أما قول البُحتري :

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله ورقت كما رق النسيم شمايله

فإن أبا هلال يذكره عندما يستشهد للاستعارة من أشعار المتقدمين[١] ، والصواب في هذا أنه تشبيه ، لأن وجود الأداة دليل حاسم على الحكم بالتشبيه ، هذا بالإضافة إلى وجود الطرفين .

وكما هو ملحوظ فقد خلط علماء البلاغة بين الاستعارة والتشبيه ، وقد عدّ كثير منهم التشبيه المحذوف الأداة استعارة ، وكان أول من خالف في هذا ، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني قائلاً : « وربما جاء من هذا الباب مايظنه الناس « استعارة » وهو تشبيه أو مثل » فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس :

والحب ظهر أنت راكبه فإذا صرفت عنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء وإنما الاستعارة مااكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينهما منافرة ولايتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر »[٢] .

---

(١) الصناعتين ص٣٢٩ . (٢) الوساطة ص٤١ .

ثم يأتي عبدالقاهر الجرجاني ويؤكّد صحّة هذه القضية مدلياً بدلوه في إثباتها بما عُرف عنه من دقة واستقصاء .

يقول « اعلم أن الوجه الذي يقتضيه القياس وعليه يدل كلام القاضي في الوساطة أن لاتطلق الاستعارة على نحو قولنا « زيد أسد » و « هند بدر » ولكن تقول هو تشبيه ، فإذا قال « هو أسد » لم تقل : استعار له اسم الأسد ، ولكن تقول : شبهه بالأسد . وتقول في الأول* إنه « استعارة » لاتتوقف فيه ولاتتحاشى ألبتة . وإن قلت في القسم الأول إنه تشبيه كنت مصيباً من حيث تخبر عما في نفس المتكلم وعن أصل الغرض ، وإذا أردت تمام البيان قلت : أراد أن يشبه المرأة بالظبية فاستعار لها اسمها مبالغة »[1] .

إذن فالتشبيه موجود في القسمين إلا أننا نطلق على الأول « استعارة » وعلى الثاني « تشبيهاً » . أما تمثيل عبالقاهر للاستعارة - في أول الأسرار - بهذين المثالين : « الفكرة مخ العمل » و « السفر ميزان القوم » فهو مجرد خلط سرعان مازال بعد تدقيق النظر في القضية . فكأن ماجاء من شرح وتفصيل يُعد نسخاً لهذين المثالين . وعبدالقاهر لايدع مجالاً للشك في ذلك بتفصيل الفروق بين التشبيه والاستعارة ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن التمثيل تشبيه إلا أنه خاص ، أو بعبارة أُخرى : التمثيل تشبيه إلا أن التشبيه أعم ، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً ، لهذا السبب رأيت أن أجمع بين التشبيه والتمثيل عند الحديث عن الفروق .

الفروق بين الاستعارة والتشبيه - كما ذكرها عبدالقاهر :

الفرق الأول :

كما ذكرنا من قبل أن الاستعارة المفيدة هي مابُنيت على قصد التشبيه ، إذن فهو

---

(١) الأسرار ص٢٩٨ .

(*) الأول قولنا : رأيت أسداً .

أساس فيها لكنه شيء وهي شيء آخر ، وإنما يكون التشبيه غرضاً في الاستعارة ، فكل استعارة تعتمد على التشبيه وليس كل تشبيه استعارة .

يقول عبدالقاهر : « فالتشبيه ليس هو الاستعارة ولكن الاستعارة كانت من أجل التشبيه وهو كالغرض فيها وكالعلة والسبب في فعلها »[١] .

وللرد على تساؤل قد ينشأ من كيفية كون الاستعارة من أجل التشبيه والتشبيه يكون ولا استعارة يقول « إن الأمر كما قلت ولكن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة فقولي من أجل التشبيه أردت به من أجل التشبيه على هذا الشرط ، وكما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيها وعلة كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها ، ألا ترى أنك تفيد بالاسم الواحد الموصوف والصفة والتشبيه والمبالغة ، لأنك تفيد بقولك « رأيت أسداً » أنك رأيت شجاعاً شبيهاً بالأسد وأن شبهه به في الشجاعة على أتم مايكون وأبلغه حتى إنه لاينقص عن الأسد فيها ، وإذا ثبت ذلك فكما لايصح أن يقال إن الاستعارة هي الاختصار والإيجاز على الحقيقة وإن حقيقتها وحقيقتهما واحدة ولكن يقال إن الاختصار والإيجاز يحصلان بها أو هما غرضان فيها ومن جملة مادعا إلى فعلها كذلك حكم التشبيه معها . فإذا ثبت أنها ليست التشبيه على الحقيقة كذلك لاتكون التمثيل على الحقيقة لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص »[٢] .

فالمستعير ينقل* اللفظ عن أصله في اللغة للتشبيه والمبالغة والاختصار ، وضارب المثل يقصد إلى تقرير الشبه بين الشيئين .

---

(١) نفس المرجع ص٢٢٠ .

(٢) نفس المرجع ص٢٢٠ - ٢٢١ .

(*) لامنفاة بين النقل والادعاء ؛ لأن الادعاء هو سبب النقل .

الفرق الثاني :

أن التشبيه يكون بوجود الطرفين - المشبه والمشبه به - وتكون له أدواته ، أما الاستعارة فتكون عن طريق النقل وترك المشبه لفظاً وتقديراً .

فيسقط ذكر المشبه كما في قولنا « رأيت أسداً » - هذا إذا كانت الاستعارة تصريحية - أو يسقط ذكر المشبه به كما في قول الشاعر : « إذا أصبحت بيد الشمال زمامها » ، - إذا كانت الاستعارة مكنية - أي أن الاستعارة تعتمد إسقاط أحد الطرفين ، صرّح بذلك الإمام وإن لم يسم النوعين .

الفرق الثالث :

أن الاستعارة يجب أن تفيد حكماً زائداً على التشبيه والتمثيل وهو الانتقال[1] باللفظ من أصله اللغوي إلى معنى آخر لم يوضع له أساساً لعقد المشابهة بين المعنى الأول والثاني ، أما الضارب للمثل فلا ينتقل باللفظ عما وضع له وإنما يأتي به على أصله وحقيقته في اللغة .

ولو أن المراد بالاستعارة هو نفسه المراد بالتمثيل لجاز لنا أن نطلق على التمثيل استعارة والعكس ، وذلك بيّن الخطأ[2] .

الفرق الرابع :

يستنبط الإمام هذا الفرق عند مناقشته لرأي من الآراء فيقول « فإن قلت : وكذلك فقل في قولك « زيد أسد » إنه أراد تشبيهه بالأسد فأجرى اسمه عليه ، ألا ترى أنك ذكرته بلفظ التنكير فقلت « زيد أسد » كما تقول « زيد واحد من الأسود » ، فما الفرق بين الحالتين[3] وقد جرى الاسم في كل واحد منهما على

---

(١) يستعمل الإمام لفظ « النقل » لأن الادعاء بسبب النقل . (٢) انظر الأسرار ص٢٢١ .

(٣) الحالة الأولى : قولنا «رأيت أسداً» - الاستعارة ، والحالة الثانية : قولنا «زيد أسد» - التشبيه .

المشبه ؟ فالجواب أن الفرق بيّن هو أنك عزلت في القسم الأول الاسم الأصلي عنه واطرحته وجعلتــه كأن ليس هو باسم له وجعلت الثاني هو الواقع عليه والمتناول له ، فصــار قصــدك التشبيــه أمراً مطويــاً في نفسك مكنوناً في ضميرك وصار في ظاهر الحــال وصورة الكلام ونصبته وكأنه الشيء الذي وضع له الاسم في اللغة وتصور - إن تعلقه الوهم - كذلك ، وليس كذلك القسم الثاني لأنك قد صرحت فيه بذكر المشبه ، وذكرك له صريحاً يأبى أن تتوهم كونه من جنس المشبه به .

وإذا سمع سامع قولك « زيد أسد » و « هذا الرجــل سيف صارم على الأعــداء » استحال أن يظن وقــد صرحت له بذكر « زيــد » أنك قصدت أسداً وسيفــاً ، وأكثــر مايمكــن أن يُدّعىٰ تخيّله في هذا أن يقع في نفسه من قولك « زيد أسد » حال الأسد في جراءته وإقدامه وبطشه ، فأما أن يقع في وهمه أنه رجل وأسد معاً بالصورة والشخص فمحال »[1] .

فالفرق لاشك واضح : وهو أن المستعير يترك اسم « المشبه - زيد - جانباً وذلك في قوله « رأيت أسداً » - وكأنه ليس هو الاسم الأصلي ، ويذهب إلى اسم المشبه به - الأسد - ويجعله اسماً له وكأنه قد وضع له في أصل اللغة ، قاصداً في نفسه تشبيه « زيد » « بالأسد » لذلك قد يقع في الظن « الأسد » حقيقة ، وهذا مالا يحدث في القسم الثاني - التشبيه - إذ إن التصريح بذكر اسم « زيد » في « زيد أسد » يمنع الظن بأن المقصود غير « زيد » ، وأقصى مايمكن فهمه من هذه الجملة هو تخيل حال الأسد في جرأته وإقدامه وبطشه . ففي الاستعارة تأكيد على دعــوى الاتحــاد بين الطرفين ، فالطرف الأول مطروح والطرف الثاني كأنه الأول ، وبذلك يكون التشبيه الجامع بين الطرفين أمراً مطوياً في النفس ، ولايستدل على المقصود إلا بقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

---

(١) نفس المرجع ص٢٩٨ - ٢٩٩ .

الفرق الخامس :

هذا الفرق مترتب وناتج عن الفرق السابق فإذا قيل : « عنت لنا ظبية » جاز أن يحمل الكلام على الظاهر ، إذ لامانع من إرادة الحيوان أو الحسناء في مثل هذه الجمل ، وذلك مالا يحدث في جمل التشبيه ، فقولنا : « زيد أسد » تشبيه بأن الشيء الواحد لايكون رجلاً وأسداً في نفس الوقت وإنما يكون رجلاً وبصفة الأسد فهو رجل يشبه الأسد في شجاعته مثلاً ، وكذلك فإن التصريح بذكر المشبه يمنع التوهّم أنه من جنس المشبه به .

إن قولنا « رأيت أسداً يوهم في البداية أن المعنى على حقيقته ، أما التشبيه في قولنا « زيد كالأسد » فلايظن مثل ذلك فيه بل يتضح أن الحديث عن زيد وأنه يشبه الأسد فقط .

يقول عبدالقاهر في الاستعارة « تسقط ذكر المشبه من البين حتى لايعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، وذلك أن تقول « عنت لنا ظبية » وأنت تريد امرأة و « وردنا بحراً » وأنت تريد الممدوح . فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلّم لم يرد ماالاسم* موضوع له في أصل اللغة بدليل الحال أو إفصاح المقال بعد السؤال أو بفحوى الكلام ومايتلوه من الأوصاف »[١] .

فالاستعارة تقتضي إسقاط ذكر المشبه من الجملة بحيث لايعرف أن الاسم مستعمل في غيرما وضع له إلا بقرينة تدل على ذلك ، أما التشبيه فلا يكون مثل ذلك بل هو « أن تذكر كل واحد من المشبه والمشبه به فنقول : « زيد أسد » و « هند بدر » و « هذا الرجل الذي تراه سيف صارم على أعدائك »[٢] .

فالمشبه والمشبه به موجودان ولاداعي لوجود قرينة لأن الكلام جار على الحقيقة .

(*) ماالاسم : أي المعنى الذي وضع له الإسم في اللغة .

(١) نفس المرجع ص٢٩٦ ، ٢٩٧ .   (٢) نفس المرجع ص٢٩٧ .

وهذا مايُقرّه أيضاً في التمثيل حيث يقول : « والمثل لايوجب شيئاً من هذه الأحكام ، فلا هو يقتضي تردد اللفظ بين احتمال شيئين ولا أن يُدعىٰ معناه للشيء ولكنه يدع اللفظ مستقراً على أصله »[١] .

ثم يزيد الإمام الأمر وضوحاً بذكر مثال يوضح به حال الاستعارة وحال التشبيه فيقول : « فكذلك قولك « هو أسد » ليس في ظاهره تشبيهاً لأن التشبيه يحصل بذكر « الكاف » أو « مثل » أو نحوهما فالجواب أن الأمر وإن كان كذلك فإن موضوعه من حيث الصورة يوجب قصدك التشبيه لاستحالة أن يكون له معنى وهو على ظاهره »[٢] .

ومن الملحوظ على عبدالقاهر أن له عناية بالنظر إلى الاستعمالات الجارية واتخاذها وسيلة للتوضيح والإقناع ، ولإزالة هذه الشبهة وإيضاحه لفكرته يضرب مثلاً فيقول : « وله مثال من طريق العادة وهو أنّ مثل الاسم مثل الهيئة التي يستدل بها على الأجناس كزىّ الملوك وزيّ السوقة ، فكما أنك لو خلعت من الرجل أثواب السوقة ونفيت عنه كل شيء يختص بالسوقة وألبسته زيّ الملوك فأبديته للناس في صورة الملوك حتى يتوهّموه ملكاً وحتى لايصلوا إلى معرفة حاله إلا بإخبار أو اختبار واستدلال من غير الظاهر كنت قد أعرته هيئة الملك وزيّه على الحقيقة . ولو أنك ألقيت عليه بعض مايلبسه الملك من غير أن تعريه من المعاني التي تدل على كونه سوقة لم تكن قد أعرته بالحقيقة هيئة الملك ؛ لأن المقصود من هيئة الملك أن يحصل بها المهابة في النفس وأن يتوهّم العظمة ولايحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالة على أن الرجل سوقة . افرض هذه الموازنة في الشيء الواحد كالثوب الواحد يعاره الرجل فيلبسه على ثوبه أو منفرداً وإنما اعتبر الهيئة وهي تحصل بمجموع

---

(١) نفس المرجع ص٢٢٣ .

(١) نفس المرجع ص٣٠٠ .

أشياء ، وذلك أن الهيئة هي التي يشبه حالها حال الاسم ؛ لأن الهيئة تخص جنساً دون جنس ، كما أن الاسم كذلك ، والثوب على الإطلاق لايفعل ذلك إلا بخصائص تقترن به وتراعى معه ، فإذا كان السامع قولك « زيد أسد » لايتوهّم أنك قصدت « أسداً » على الحقيقة لم يكن الاسم قد لحقه ولم تكن قد أعرته إياه إعارة صحيحة كما أنك لم تُعر الرجل هيئة الملك حين لم تزل عنه مايعلم به أنه ليس بملك »[١] .

ففي قولنا « رأيت أسداً » نكون قد تركنا لفظ الرجل جانباً - كما ننزع عن السوقي ثيابه - ووضعنا له لفظ الأسد - كما نُلبس السوقي ثياب الملوك - فيُظن أن الرجل أسد كما يُظن أن السوقي ملك .

وهذه هي الاستعارة . أما إن قلت « زيد أسد » فأنت تكون كمن يلقى بعض مايلبسه الملك على السوقي من غير أن تجرده من الأمور التي تدل على أنه سوقي ، وبذلك تكون قد شبّهته (فقط) بالملك ، فيكون قولك « زيد أسد » تشبيهاً لا استعارة .

ويتحدث الإمام عن حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة فيقول « إن من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منافعه على الحد الذي يحصل للمالك ، فإن كان ثوباً لبسه كما لبسه وإن كان أداة استعملها في الشيء تصلح له حتى إن الرائي إذا رآه معه لم تنفصل حاله عنده من حال ماهو ملك يد ليس بعاريه . . . وإذا كان الأمر كذلك ثم وجدنا الاسم في قولك « عنت ظبية » يعقل من إطلاقه أنك قصدت الجنس المعلوم ولايعلم أنك قصدت امرأة فقد وقع من المرأة في هذا الكلام موقعه من ذلك الحيوان على الصحة ، فكان ذلك بمنزلة أن المستعير ينتفع بالمستعار انتفاع مالكه فيلبسه لبسه ويتجمل به

---

(٢) نفس المرجع ص٣٠٠ - ٣٠١ .

تجمّله ويكون مكانه عنده مكان الشيء المملوك حتى يعتقد من ينظر إلى الظاهر أنه له »[1] .

فالمستعير لابد أن ينتفع بما استعاره انتفاع المالك تماماً ، أما في التشبيه فيقول : « ولما وجدنا الاسم في قولك « زيد أسد » لايقع من زيد ذلك الموقع من حيث إن ذكره باسمه يمنع من أن يصير الاسم مطلقاً عليه ومتناولاً له على حد تناوله ما وضع له كان وزان ذلك وزان أن تضع عند الرجل ثوباً وتمنعه أن يلبسه ، أو بمنزلة أن تطرح عليه طرف ثوب كافته عليك ، فلا يكون ذلك عارية صحيحة لأنك تدخله في جملته ولم تعطه صورة مايختص به ويصير إليه ويخفي كونه لك دونه فاعرفه »[2] .

فإذا قلت : « عنت لنا ظبية » فقد أفدْت الحسناء كل ما تتصف به الظبية وهذه هي الاستعارة في حين أنك إذا قلت « زيد أسد » فإن زيداً لايقع ذلك الموقع لتصريحك باسمه ، فأنت في ذلك كمن يطرح على رجل طرف ثوب كافته[3] عليه[4] ، فلا شك أن ذلك ليس بعارية صحيحة ، ويكون قولك « زيد أسد » تشبيهاً لااستعارة .

وعلى هذا فإذا قلنا « زيد أسد » فقد صرّحنا بذكر المشبه والمشبه به وأبقينا كلا منهما على حاله ، فزيد باق في جنسه وكذلك الأسد وإنما جُمع بينهما في صفةٍ من الصفات . أما قولنا « رأيت أسداً » فقد أخرجنا المستعار له من جنسه وأدخلناه في جنس المستعار منه ادّعاءاً .

---

(١) نفس المرجع ص٣٠١ .

(٢) نفس المرجع ص٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) كافة الثوب .

(٤) على الطارح .

كما أن مما لاشك فيه أن شجاعة الإنسان ليست كشجاعة الحيوان « الأسد » وأنها في الحيوان تكاد تكون كاملة ، فقولنا « زيد كالأسد » يفيد مساواة زيد بالأسد في الشجاعة ، ففي هذا القول إلحاق ناقص بكامل ، أما في قولنا « رأيت أسداً » فالقضية هنا قضية ادّعاء الاتّحاد بين المستعار له (المشبه) والمستعار منه (المشبه به) .

الفرق السادس :

صور التشبيه وصور الاستعارة :

يأتي هذا الفرق من طريق موضوع الكلام وأساليبه .

إن الحالة التي يخلط فيها بين التشبيه والاستعارة هي الحالة التي يقع فيها الاسم خبر مبتدأ ، أو خبراً لكان ، أو مفعولاً ثانياً لباب علمت أو حالاً . فالاسم في هذه المواضع إنما يكون لإثبات معناه ، حتى وإن دخل النفي عليه تعلق النفي بمعناه وأيضاً فلو قال قائل : « زيد منطلق » فقد أثبت الانطلاق لزيد ، ولو قال « مازيد منطلقاً » فقد نفى الانطلاق عن زيد ، كذلك إذا قال « زيد أسد » و « رأيته أسداً » فقد جعل اسم المشبه به « أسداً » خبراً عن المشبه « زيد » ، وبدهيّ أننا في مثل هذا القول لانريد إثبات الجنسية لزيد على الحقيقة وإنما نريد إثبات شبه من الجنس له . إذن فنحن قد أتينا بالاسم لنحدث به التشبيه ، فيكون الأجدر بنا أن نسمي مثل هذا القول « تشبيهاً » . يقول الإمام في ذلك : « وإذا كان الأمر كذلك فأنت إذا قلت « زيد أسد » و « رأيته أسداً » فقد جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه . والاسم إذا كان خبراً عن الشيء كان خبراً عنه إما لإثبات وصف هو مشتق منه لذلك الشيء كالانطلاق في قولك « زيد منطلق » أو إثبات جنسية هو موضوع لها كقولك « هذا رجل » فإذا امتنع في قولنا « زيد أسد » أن تثبت الجنسية لزيد على الحقيقة كان لإثبات شبه من الجنس

لـه ، وإذا كنّا إنمـا نثبت شبـه الجنس فقد اجتلبنا الاسم لنحدث به التشبيـه الآن ونقرره وندخله في حيّز الحصول والثبوت . وإذا كان كذلك كان خليقاً بأن نسمّيه تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ويوجبه »[١] .

أما الحالة الثانية التي يكون فيها الاسم استعارة بدون خلاف فهي « حالة إذا وقع الاسم فيها لم يكن الاسم مجتلباً لإثبات معناه للشيء ولا الكلام موضوعاً لذلك لأن هذا حُكم لايكون إلا إذا كان الاسم في منزلة الخبر من المبتدأ . فأما إذا لم يكن كذلك وكان مبتدأً بنفسه أو فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فأنت واضع كلامك لإثبات أمر آخر غير ماهو معنى الإسم »[٢] .

أي أن الاسم في الاستعارة لايؤتى به لإثبات معناه لشيء آخر حين يكون مبتدأ أو فاعلاً أو مفعولاً . ويضرب الإمام الأمثلة ليزيد الأمر وضوحاً .

فيقول : « بيـان ذلـك أنك إذا قلـت « جـاءني أسـد » و « رأيت أسداً » و « مررت بأسد » فقد وضعت الكلام لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية والمرور واقعين منك عليـه . وكذلك إن قلـت « الأسد مقبل » فالكـلام موضـوع لإثبات الإقبـال للأسد لا لإثبـات معنى الأسد . وإذا كان الأمـر كذلك ثم قلت « عنت لنا ظبية » و « هززت سيفـاً صارماً على الأعداء » وأنت تعني بالظبية امرأة وبالسيف رجلاً ، لم يكـن ذكـرك للاسمين في كلامك هذا لإثبـات الشبه المقصود الآن . وكيف يتصور أن نقصـد إلى إثبات الشبه منهما بشيء وأنت لم تذكر قبلهما شيئاً ينصرف إثبات الشبه إليه ، وإنما نثبت الشبه من طريق الرجـوع إلى الحال والبحث عن خبيء في نفس المتكلم . وإذا كان كذلك بان أن الاسـم في قولك « زيد أسد » مقصود به إيقـاع التشبيـه في الحال وإيجابـه ،

---

(١) نفس المرجع ص٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) نفس المرجع ص٣٠٣ .

وأما في قولك « عنت لنا ظبية » و « سللت سيفاً على العدو » فوضع الاسم هكذا انتهازاً واقتضاباً على المقصود وادّعاءً أنه من الجنس الذي وضع له الاسم في أصل اللغة »[١] .

فإن أنت أتيت بالاسم لتثبت معناه لشيء آخر كان ذلك تشبيهاً كما أوضحنا ، أما إن لم يكن كذلك فهو استعارة ، كمثل قولك « الأسد مقبل » فمدار الحديث هنا أن الإقبال قد حدث من الأسد فعلاً . إذن فالاسم في هذه الحالة لم يُؤت به لإثبات معناه لشيء آخر .

وقد حقق الخطيب في هذه القضية وجعل هذا الفرق من أول الفروق فقال « فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً ، إذ كان إنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى - يقصد الاستعارة - ، فإن الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد ، والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير ، لايُعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر »[٢] .

فالخطيب يبيّن أن قولنا : « زيد أسد » تشبيه ، وقولنا « عنت لنا ظبية »[٣] استعارة كما أنه يشير إلى أن هناك من الناس من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الأولى استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة تشبيه ، لكنه يوضح أن هذا

---

(١) نفس المرجع ص٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٣) إذا أطلقت الظبيه على غير الحيوان المعروف .

« الخلاف لفظي راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح ، وما اخترناه هو الأقرب »[1] .

ومما لايمكن إنكاره الآن ، هذا الجهد الكبير الذي بذله الإمام لتوضيح الفروق بين التشبيه المحذوف الأداة (البليغ) والاستعارة .

ولو اكتفى الإمام بهذا القدر من التوضيح ما لامه لائم . ولكنه بعد تقرير كل ماسبق يعود فيجيز إطلاق الاستعارة على التشبيه ، وهو في إجازته هذه إنما يوجد فرقاً آخراً بين التشبيه المحذوف الأداة والاستعارة .

الفرق السابع :

يجعل عبدالقاهر أساس هذا الفرق هو سهولة دخول حروف التشبيه في الجملة أو صعوبته ، وقد وضّح متى تكون السهولة ومتى تكون الاستحالة .

يقول « فإن أبيت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم الثاني فينبغي أن تعلم أن إطلاقها لايجوز في كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه فيه بسهولة ، وذلك نحو قولك « هو الأسد » و « هو شمس النهار » و « هو البدر حسناً وبهجة والقضيب عطفاً » وهكذا كل موضع ذكر فيه المشبه به بلفظ التعريف ، فإن قلت « هو بحر » و « هو ليث » و « وجدته بحراً » وأردت أن تقول إنه استعارة كنت أعذر وأشبه بأن تكون على جانب من القياس ومتشبثاً بطرف من الصواب ، وذلك أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه ، فلو قلت « هو كأسد » و « هو كبحر » كان كلاماً نازلاً غير مقبول كما يكون قولك « هو كالأسد » إلا أنه وإن كان لايحسن فيه « الكاف » فإنه يحسن فيه « كأن»

---

(١) نفس المرجع ص٤١٠ .

كقولك « كأنه أسد » أو مايجري مجرى « كأن » في نحو تحسبه « أسداً » و « تخاله سيفاً »[1] .

وعبد القاهر يتدرج في هذه القضية ، من يسر إطلاق الاستعارة ، إلى صعوبة إطلاقها ، ثم إلى استحالته .

أولاً : إذا كان المشبه به معرفاً كقولنا « هو الأسد » فإن دخول أدوات التشبيه : الكاف ، كأن ، حسبت[2] . . . إلخ يكون سهلاً ، وفي هذه الحالة لايجوز إطلاق الاستعارة بتاتا .

ثانياً : إذا كان المشبه به نكرة كقولنا « هو أسد » فإن دخول بعض أدوات التشبيه لايحسن ، كحرف الكاف ، إذا أردنا إدخاله على مثل هذه الجملة فقلنا « هو كأسد » كان كلاماً غير مقبول . لكننا لو أدخلنا حرفاً آخر ككأن فقلنا « كأنه أسد » لكان كلاماً سليماً .

وإن كان عبدالقاهر هنا يرى أن من يطلق الاستعارة على مثل هذا النوع يكون معذوراً إلا أنه يرى أن ذلك ليس تمام الصواب ، بل الصواب أن يعد تشبيهاً كالحالة السابقة ، دليل ذلك قوله : « كنت أعذر وأشبه بأن تكون على جانب من القياس ومتشبّثاً بطرف من الصواب »[3] .

ثالثاً : وهي الحالة التي يغمض فيها تقدير حروف التشبيه ، وفيها يفضل الإمام إطلاق الاستعارة . يقول « فإن غمض مكان « الكاف وكأن » بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيه بصفة لاتكون في ذلك الجنس وأمر خاص غريب فقيل « هو

---

(١) الأسرار ص٣٠٤ - ٣٠٥ . وفي هذا الموضع تأكيد على عدم اعتبار « السفر ميزان القوم » و « الفكرة مخ العمل » من الاستعارة لأن المثالين مما يحسن دخول حرف التشبيه عليهما .

(٢) لم يحسم البلاغيون أن «حسبت» حرف تشبيه .

(٣) نفس المرجع ص٣٠٤ .

بحــر من البلاغة » و « هو بدر يسكن الأرض » و « هو شمس لاتغيب »
وكقولـه :

شمس تألــق والفراق غروبهـــا عنّـــا وبدر والصدود كسوفـــه

فهو أقرب إلى أن نسميه استعارة لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه إذ لاتصل إلى الكاف حتى تُبطل بنية الكلام وتبدّل صورته فتقول « هو كالشمس المتألّقة إلا أن فراقها هو الغروب وكالبدر إلا أن صدوده الكسوف »[١] .

فلا يدخل حرف التشبيــه على مثـل هــذه الجمـل إلا إذا أحدثت فيه شيئاً من « التغيير » ، لذلك فضل عبدالقاهر إطلاق الاستعارة عليها .

إذ إن دخول حرف التشبيه في قولنا « هو بحر من البلاغة » لايسوغ إلا إذا غيرنا العبارة ، لأن اعتبار التشبيه هنا يعني وجود بحر لاعهد به وهو بحر من البلاغة ، وكذلك في « هو بدر يسكن الأرض » و « هو شمس لاتغيب » .

أما قول الشاعر :

شمس تألق والفـــراق غروبهـــا عنّـــا وبدر الصـــدود كســوفه

فالــذي أراه في هذا البيت أنه لامانع من أن نقول : هو كالشمس المتألقة ، باعتبـــار « أل » في « الفـراق » وفي « الصـدود » عوضاً عن ضمير المشبــه ويكـــون تقدير الكلام : وفراقه - أي المشبه - غروب الشمس ، وصدوده كسوف البدر ، وبذلك لاتبطل بنية الكلام ولاتتبدل الصورة فيكون هذا البيت من قبل التشبيه .

رابعــاً : ومما يقرب فيــه إطلاق الاستعــارة أن يختل تقدير التشبيه كقول المتنبي :

أســـد ، دم الأسد الهزبر خضابه موت ، فريص الموت منه ترعـد

---

(١) نفس المرجع ص٣٠٥ .

يقول الشيخ في التعليق على هذا البيت : « لاسبيل لك إلى أن تقول « هو كالأسد » و « هو كالموت » لما يكون في ذلك من التناقض لأنك إذا قلت « هو كالأسد » فقد شبّهته بجنس السبع المعروف ومحال أن تجعله محمولاً في الشبه على هذا الجنس أولاً ثم تجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده لأن حملك له عليه في الشبه دليل على أنه دونه ، وقولك بعد « دم الهزبر من الأسود خضابه » دليل على أنه فوقها . وكذلك محال أن تشبه بالموت المعروف ثم تجعله يخافه ، وترتعد منه أكتافه » [1] .

يقول المتنبي : « هو شجاع يتلطّخ بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه » [2] .

وإطلاق الاستعارة هنا أقرب من إطلاق التشبيه [3] فإذا كان تشبيه الممدوح بالأسد يدل على شجاعة ثم يزاد أن يفترس أقوى الأسود فاستعارة الأسد له أقرب إلى ذلك إذ فيها دعوى الاتحاد بينه وبين الأسد .

ومما يختل فيه تقدير بعض أدوات التشبيه قول البحتري :

سحاب عداني سيله وهو مسبل ... وبحر عداني فيضه وهو مفعم
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً ... وموضع رحلي منه أسود مظلم

فلو قُدّر التشبيه في هذا البيت فقيل « هو كالبدر الذي أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رحلي مظلم لم يضيء به » كان شيئاً محالاً ، وذلك أن البدر في هذه الحالة يكون قد ملأ الأرض ضياءاً ومنعه موضعاً واحداً فقط وهذا ليس من صفات البدر المعروف . والكلام في هذا البيت موضوع لا لإثبات الشبه بين الممدوح والبدر

---

(١) نفس المرجع ص٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) شرح ديوان المتنبي وضعه عبدالرحمن البرقوقي ج٢ ص٥٧ .

(٣) التشبيه لايطلق لما فيه من التناقض - كما ذكر عبدالقاهر .

« ولكن لإثبات الصفة في واحد متجدد حادث من جنس البدر لم تعرف تلك الصنفة للبدر فيصير بمنزلة قولك « زيد رجل يقرى الضيوف ويفعل كيت وكيت » فلا يكون قصدك إثبات زيد رجلاً ولكن إثبات الصفة التي ذكرتها له ، فإذا خرج الاسم الذي يتعلق به التشبيه من أن يكون مقصوداً بالإثبات تبين أنه خارج عن الأصل الذي تقدم من كون الاسم لإثبات الشبه . فالبحتري في قوله « وبدر أضاء الأرض » قد بنى كلامه على أن كون الممدوح بدراً أمر قد استقر وثبت وإنما يعمل في إثبات الصفة الغريبة والحالة التي هي موضع التعجّب . وكما يمتنع دخول الكاف في هذا النحو كذلك يمتنع دخول « كأن » و « تحسب » و « تخال »[1] .

ثم يخلص عبدالقاهر من هذا إلى نتيجة وهي قوله « وتأمل هذه النكتة فإنه يضعف ثانياً إطلاق الاستعارة على هذا النحو أيضاً ، لأن موضوع الاستعارة - كيف دارت القضية - على التشبيه »[2] .

وعلى الرغم من أن عبدالقاهر يرى أن هذين البيتين - بيت المتنبي وبيت البُحتري - مما يختل تقدير حرف التشبيه فيه ، فهو يعد الأول من قبيل الاستعارة وينفي عن الثاني التشبيه والاستعارة - والسبب في ذلك - كما يُفهم من كلام عبدالقاهر - أن قول المتنبي إذا اعتبر تشبيهاً كان كلاماً متناقضاً ، أما اعتبار بيت البُحتري من باب التشبيه فليس متناقضاً فحسب بل محال لعدم وجود هذه الصفة في البدر المعروف ، وعلى هذا تنتفى الاستعارة أيضاً لأنها مبنية على التشبيه .

ومن هنا يظهر اضطراب الإمام في الحكم على بيت المتنبي ، إذ إنه نفى عنه التشبيه فكان ينبغي أن ينفي الاستعارة أيضاً لأنها مبنية على التشبيه ، وهو نفس مافعله في بيت البحتري .

---

(١) الأسرار ص٣٠٧ .　　(٢) نفس المرجع ص٣٠٨ .

هذا هو مذهب الشيخ في هذين البيتين ، وقد أوضحت رأيي في بيت المتنبي ، وعلى هذا يكون كلام البحتري على تقدير محذوف « هو كالسحاب وهو كالبحر وهو كالبدر » . أما الصفة الجديدة في قوله : وموضع رحلي منه أسود مظلم . فمن باب التخييل . فيكون البيت من قبيل التشبيه ، والمعنى فيه : أن الممدوح في حبه وعطفه على الناس كالبدر الذي يضيء الأرض من المشرق إلى المغرب ، ثم لمّا أراد الشاعر أن يستدر عطف ممدوحه بيّن له أنه لم يحظ بما حظي به غيره بل إن حياته اسودت وأظلمت عليه .

وكما أوضح الإمام الفرق بين الاستعارة وبين التشبيه والتمثيل فقد أوضح الفرق بين التشبيه والتمثيل أيضاً ليصل بنا إلى الاستعارة التمثيلية .

الفرق بين التشبيه والتمثيل :

يبدأ الإمام حديثه عن الفرق بين التشبيه والتمثيل بتقرير أمر ، وهو أن التشبيه « لايحتاج فيه إلى تأوّل ، والآخر أن يكون الشبه محصّلاً بضرب من التأوّل »[١] .

والذي لايحتاج إلى تأول هو مايدخل تحت الحواس ، كتشبيه شيء بشيء من جهة الشكل والهيئة واللون والصوت والطعم والرائحة ، فتشبيه الخد بالورد ، والفواكه الحلوة بالعسل سهل قريب المأخذ ، وكذلك ماكان من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة ، فوجه الشبه في هذا كله لايحتاج فيه إلى إعمال فكر وبذل جهد ، وهذا هو التشبيه .

أما التمثيل فهو مايحصل بضرب من التأوّل وهو على درجات ، فمنه القريب المأخذ كقولنا « هذه حجة كالشمس في الظهور » ، ومنه مايحتاج فيه إلى قدر من التأمّل مثل « ألفاظه كالماء في السلاسة » ، ومنه مايدق ويغمض حتى يحتاج في

---

(١) نفس المرجع ص٨١ .

استخراجه إلى رويّة وتفكّر كقول كعب الأشقري « كانوا كالحلقة المفرغة لايُدرىٰ أين طرفاها » ، فمثل هذا لانجده إلا في الآداب والحكم المأثورة التي لايفهمها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، ووجه الشبه في هذا يكون عقلياً ، لكن الإمام يقول في البداية إنه قد ينتزع من شيء واحد وقد ينتزع من عدّة أمور ثم يعود ويقرر أن التمثيل لايكون إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ووجه الشبه عقلي محض .

والجدير بالذكر أن الإمام عند إيراده لأمثلة من التمثيل يخلط بين الاستعارة التمثيلية والتمثيل ، فنجده يُمثّل للتمثيل بقول القائل « أخذ القوس باريها » و « مازال يفتل منه في الذروة والغارب » و « بلغني أنك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى »[1] .

أما في الدلائل فيسمى ماجاء على هذا النمط « التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حدّ الاستعارة »[2] وهو « كل كلام رأيتهم قد نحو فيه نحو التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك ، وأخرجوا اللفظ مُخرجه إذا لم يريدوا تمثيلاً »[3] .

---

(١) نفس المرجع من ص٨١ - ٩٩ .

(٢) الدلائل ص٦٨ .

(٣) نفس المرجع ص٦٩ .

الفصل الثالث

أقسام الاستعارة ،

الفروق بينها ، قوانينها

لقد حظيت الاستعارة من الإمام عبدالقاهر باهتمام بالغ إذ بيّن ماهيّتها وكشف عن حقيقتها ومكانتها من الألوان البلاغية ، وجدير بعالم يقدّر الاستعارة قدرها ألا ينسى أهمية أقسامها ، لذلك نجده - رحمه الله - يفصّل القول فيها أتم تفصيل ، وإن لم يسم هذه الأقسام ، وذلك لايؤاخذ به ، لأن الشيء بروحه ، وما أوضحه الإمام في الاستعارة هو روح الاستعارة ، ولأن المصطلحات العلمية لم تكن قد أخذت مكانها الذائع إلى وقته .

يقسم عبدالقاهر الاستعارة تقسيمات عدّة باعتبارات متعددة .

أول هذه التقسيمات :

١ - قسم من حيث الفائـــدة :

لكل بناء دعامة وأساس ، فإذا ماعدم الأساس لم يقم البناء ، والاستعارة عمادها وأساسها التشبيه ، فإذا لم يكن تشبيه فلا استعارة . ومن هنا نجد عبدالقاهر عندما ابتدأ بأول تقسيم للاستعارة أحسّ كأنه أخطأ حين وسم بعض الأساليب بالاستعارة مع عدم وجود تشبيه ، ثم استدرك أخيراً ، فقد قسم الاستعارة قسمين : « أحدهما أن يكون لنقلك فائـدة ، والثـاني لايكون لـه فائـدة »[(١)] .

وحيث إن الاستعارة تعني النقل - أولاً - والتشبيه يعني الفائدة - ثانياً - فإن الحُكـم على الاستعارة يكون تبعـاً لقصـد التشبيه (الفائـدة) فإن وُجـد كانـت « مفيدة » وإن لم يوجد فـ « غير مفيدة » . وقد فضّل عبدالقاهر البدء بالحديث عن هذا الأخير لقصر باعـه وقلّة اتساعه قائلاً : « وموضع هذا الذي لايفيد نقله حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضـاع اللغة والتنوّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها ، كوضعهم للعضـو

---

(١) الأسرار ص٢٩ .

الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس وما شاكل ذلك من فروق ربما وجدت في غير لغة العرب وربما لم توجد ، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها من غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجاز به موضعه »[1] .

فهذا بيان للمواضع التي يحدث فيها النقل لغير فائدة ، فاللغة العربية تمتاز بكثرة مفرداتها وغزارة معانيها ، ومن ذلك وضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان كوضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس ، فإذا استعمل المتكلم لفظة الشفة للحيوان دون أن يقصد التشبيه كان هذا النقل غير مفيد .

وقد استُعمل هذا النقل على ألسنة الشعراء ، منه قول العجاج يصف امرأة :

أزمان أبدت واضحاً مفلجـاً أغر براقاً وطرفاً أبرجـا

ومقلةً وحاجباً مزججـاً وفاحماً ومرسناً مسرّجا[2]

فالشاعر هنا استعمل المرسن للمرأة وهو موضوع للحيوان ، ومن هذا :

---

(١) الأسرار ص٢٩ .

(٢) سمط اللآلى لأبي عبيد البكري ص٨٦٦ .

أزمان : اسم المرأة التي يصفها الراجز[1] .

أزمان : المفرد : الزمن والزمان وهو اسم لقليل الوقت وكثيره ، وفي المحكم : الزمن والزمان العصر[2] ، ومفلج الثنايا أي متفرجها[3] ، والبرج : سعة في العين . والمزجج الطويل السابغ[4] ، وفاحماً : أي شعراً أسود كالفحم ، ومرسناً أي أنفاً ، مسرجاً : أي كالسيف السريجي في الدقة والاستواء . . . أو كالسراج في البريق[5] .

---

(١) المطول ص١٨ .

(٢) لسان العرب ج١٣ ص١٩٩ .

(٣) لسان العرب ج٢ ص٣٤٧ ، وفيه أيضاً من الحديث : أنه لعن المتفلجات للحسن ، أي أنه صفة للحسن وإظهار الجمال .

(٤) سمط اللآلى لأبي عبيد البكري ص٨٦٦ .

(٥) المطول ص١٨ .

· الضرب قول أبي النجم العجلي يصف إبلاً :

تسمع للماء كصوت المسحل بين وريديها وبين الجحفل[1]

فجعل للإبل جحافل وهي لذوات الحوافر (الخيل والحمير والبغال) ، وقال أبو النجم - أيضاً :

والحشو من حفافها كالحنظل .

فاستعمل الحفّان لصغار الإبل وهو لصغار النعام ، وهناك من استعمل الشفة للفرس وهي للإنسان كقول أبي داود الإيادي :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ننزع من شفتيه الصفارا[2]

وبعد ذكر عبدالقاهر لهذه الأمثلة يعلق قائلاً : « فهذا ونحوه لايفيدك شيئاً لو لزمت الأصليّ لم يحصل لك ، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله « من شفتيه » وقوله « من جحفلتيه » لو قاله ، إنما يعطيك كلا الاسمين العضو المعلوم حسب »[3] ، فالاستعارة غير المفيدة هي تلك التي لاتأتي بجديد ولاتكون لغرض من الأغراض المعنوية ، فالشاعر عندما قال : « وفاحماً ومرسناً مسرجاً » لم يقصد إلا أنفاً يبرق كالسراج ولم يرد « أن يشبه أنف المرأة بأنف نوع من الحيوان لأن هذا العضو من غير الإنسان لايوصف بالحسن كما يكون ذلك في العين والجيد »[4] .

---

(١) المسحل : الحمار الوحشي الذي يسحل نهاقه كأنه يحسنه : جمهرة اللغة ، لابن دريد ج٣ ص٤٩٠ .

(٢) الصفار : مابقى في أسنان الدابة من التبن والعلف .

(٣) الأسرار ص٣٠ .

(٤) نفس المرجع ص٥٩ .

وكذلك الذي قال : « تنزع من شفتيه الصفارا » ، يستعمل الشفة في الفرس ، والأصل أن يقول « الجحفلة » لأنها موضوعة للفرس ، فهو بنقله هذا لم يفد جديداً بل على العكس ، كان الأحرىٰ به أن يستعمل « الجحفلة » ؛ لأن « الاستعارة ههنا بأن تنقصك جزءاً من الفائدة أشبه ، وذلك أن الاسم في هذا النحو إذا نفيت عن نفسك دخول الاشتراك عليه بالاستعارة دلّ ذكره على العضو وماهو منه ، فإذا قلت « الشفة » دل على الإنسان ، أعني يدل على أنك قصدت هذا العضو من الإنسان دون غيره ، فإذا توهّمت جري الاستعارة في الاسم زالت عنه هذه الدلالة بانقلاب اختصاصها إلى الاشتراك . فإذا قلت « الشفة » في موضع قد جرىٰ فيه ذكر الإنسان والفرس دخل على السامع بعض الشبهة لتجويزه أن تكون استعرت الاسم للفرس ، ولو فرضنا أن تُعدم هذه الاستعارة من أصلها وتُحظر لما كان لهذه الشبهة طريق على المخاطب فاعرفه »(١) .

والذي يُفهم هنا من كلام عبدالقاهر : أن الأفضل هو استعمال الاسم الموضوع للعضو فيما وضع له إن لم يقصد التشبيه ، لأن الاستعارة في مثل هذه المواضع تنقص جزءاً من الفائدة وذلك :

١ - إن الأصل في الكلام هو الحقيقة ولايعدل عنها إلا لغرض بلاغي ، فإذا لم يُراعَ هذا الغرض فالأفضل استعمال الحقيقة .

٢ - إذا استعملت لفظ (الشفة) في مثل هذه المواضع ولم تقصد التشبيه ، فإن مجرد ذكره يدل على الإنسان ويوهم أنك تريد تشبيهاً في حين أنك لاتقصد ذلك ، ولدفع مثل هذا التوهّم يُفضّل استعمال الحقيقة .

---

(١) نفس المرجع ص٣٠ ، ٣١ .

٣ - إن اعتبار بيت العجاج من قبيل الاستعارة مناف للغرض ، إذ إن الشاعر - كما هو واضح - يمدح ويصف جمال امرأة ، ومن غير المعقول أن يشبه أنفها بمرسن الحيوان بقصد إبراز الجمال ، فالمرسن لا جمال فيه . ولو أُريدت الاستعارة لكان بالهجاء أشبه .

وما أود بيانه هنا هو أن في هذه الأمثلة - التي يعدها عبدالقاهر من قبيل الاستعارة غير المفيدة - مايمكن حمله على قصد التشبيه فيكون من قبيل الاستعارة المفيدة ، كقول الشاعر :

والحشو من حَفّاَنِها كالحنظل[١] .

يقول الإمام في هذا : « فأجرى الحفان على صغار الإبل وهو موضوع لصغار النعام »[٢] ، وأقول : لم لايكون هذا النقل لغرض التشبيه ، إذ إن الشاعر أراد بثّ معاني الرقّة والوداعة في صغار الإبل فأجرى عليها ماهو موضوع لصغار النعام . وكثيراً ماشبّه الشعراء ولد الناقة بالظليم . ومن هنا جاز استعارة ولد النعام لولد الإبل .

وكذلك قول أبي داؤد الإيادي :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ... ننزع من شفتيه الصفارا

إن قول الشاعر « فبتنا جلوساً » يوضح أنهم قد قضوا ليلتهم سهراً إلى جانب هذا المهر ، وهذا يدل على مدى المكانة التي يحظى بها المهر عند القوم ، فقد كان هذا الجلوس إلى جانب المهر للاهتمام والعناية بأمره ، واستعمال الشاعر الشفة في المهر تجعل المهر وكأنه إنسان ليزيد من وضوح العلاقة الحميمة بين القوم والمهر .

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج٣ ص٤٩٠ .

(٢) الأسرار ص٣٠ .

هذا ، وقد أوضح الإمام فرقاً آخراً بين الاستعارتين وذلك من جهة اختصاص القسم غير المفيد باللغة العربية لأن مدار أمره على نقل اللفظ وليس قصد التشبيه ، يقول : « وإذا كان مدار أمره على اللفظ لم يتصور أن يكون في غير لغة العرب ، بلىٰ ، إن وُجد في لغة الفرس مراعاة نحو هذه الفروق ثم نقلوا الشيء من الجنس المخصوص به إلى جنس آخر كانوا قد سلكوا في لغتهم مسلك العرب في لغتها . وليس كذلك المفيد فإن الكثير منه تراه في عداد مايشترك فيه أجيال الناس ويجرى به العرف في جميع اللغات - فقولك « رأيت أسداً » تريد وصف رجل بالشجاعة وتشبيهه بالأسد على المبالغة أمر يستوي فيه العربي والعجمي وتجده في كل جيل ، وتسمعه من كل قبيل ، كما أن قولنا « زيد كالأسد » على التصريح بالتشبيه كذلك ، فلا يمكن أن يدّعى أنا إذا استعملنا هذا النحو من الاستعارة فقد عمدنا إلى طريقة في المعقولات لايعرفها غير العرب أو لم تتفق لمن سواهم »[١] .

أما الفرق الثالث فهو فرق يتعلق بالترجمة ، يقول فيه الإمام : ولو أن مترجماً ترجم قوله[٢] :

وإلا النعـــام وحفانـــــه .

ففسّر الحفّان باللفظ المشترك الذي هو كالأولاد والصغـار لأنه لايجد في اللغة التي يترجم لفظاً خاصاً لكان مصيباً ومؤدّيـاً للكلام كما هو ، ولو أنه ترجم قولنا « رأيت أسداً » نريد رجلاً شجاعاً فذكر ما معناه معنى قولك « شجاعاً شديداً »

---

(١) نفس المرجع ص٣٢ ، ٣٣ .

(٢) من شعر أسامة بن الحارث الهذليَ في وصف السير في المفازة ، وتمام البيت :

وطغيـــــاً من اللّهـف النّاشـــــط .

يعني : ونَبَذاً من البقر البيض التي تخرج من أرض إلى أرض .

وترك أن يذكر الاسم الخاص في تلك اللغة بالأسد على هذه الصورة لم يكن مترجماً للكلام بل كان مستأنفاً من عند نفسه كلاماً »[1] .

أي أن الاستعـارة غير المفيدة يجوز للمترجم فيها أن يذهب إلى اللفظ المشترك إذا لم يوجد في اللغـة المنقول إليهـا مايقابل اللفـظ المنقـول ، إذ لاغرض من لفظ « حفانــه » إلا أولاد النعام ، لذلك تجوز الترجمة بأي لفظ يؤدي هذا المعنى كالأولاد والصغار ، وهذا ما لايجوز فيما يكون نقله لغرض ، ففي قولنا « زيد أسد » - ونحن نريد شجاعاً - لاتجوز ترجمته باللفظ الأعم ، لأن هذا المعنى يُعد كلاماً جديداً من وضع المترجم .

أما إن كان مبنى الاستعارة أو النقل على قصد التشبيه كانت استعارة مفيدة لأن النقل فيها من جهة المعنى ، وهي الأولى أن تسمى استعارة « واعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول »[2] وكُرْهُ الإمام للتشدد في الخلاف جعله يذكر هذا القسم مع الاستعارة إلا أنه نبّـه على ضعف أمره وسمّاه استعارة غير مفيدة ، يقول : « واعلم أن الواجب كان أن لا أعدّ وضع الشفة موضع الجحفلة والجحفلة في مكان المشفر ونظائـره التي قدمـت ذكرها في الاستعارة وأضن باسمها أن يقع عليه ، ولكنّي رأيتهم قد خلطــوه بالاستعـارات وعدّوه معدّها فكـرهت التشدد في الخلاف ، واعتددت به في الجملة ونبّهت على ضعف أمره بأن سمّيته استعارة غير مفيدة »[3] .

إذا كان عبدالقاهر قد أخرج من الاستعارة مالم يُقصد فيه التشبيه وأطلق عليه استعارة غير مفيدة ، ومثّل له باستعمال أسماء الأعضاء في غير ماوضعت له ، فإنه لايفوته أن يوضح أهمية التدقيق في هذا الاستعمال ، فإذا كان الشاعر قد استعمل

---

(١) الأسرار ص٣٣ ، ٣٤ .
(٢) نفس المرجع ص٤٠ .
(٣) نفس المرجع ص٣٧٣ .

المرسن - الموضوع للحيوان - في المرأة - ونحن على يقين أنه لايقصد التشبيه - فإن مثل هذا الاستعمال يُعد من قبيل الاستعارة غير المفيدة . أما إذا كان هذا الاستعمال - نفسه - لغرض التشبيه فإنه بذلك ينتقل إلى النوع الثاني - الاستعارة المفيدة - ، لذلك نجد عبدالقاهر ينبّه إلى عدم الخلط بين الاستعمالين فيقول « فاعلم أنك قد تجد الشيء يخلط بالضرب الأول الذي هو استعارة من طريق اللفظ ويُعد في قبيله وهو إذا حققت ناظر إلى الضرب الآخر الذي هو مستعار من جهة المعنى وجار في سبيله »[١] ثم يتابع بضرب الأمثلة قائلاً « فمن ذلك قولهم (إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر) وذلك أنه كلام يصدر عنهم في مواضع الذم فصار بمنزلة أن يقال كأن شفته في الغلظ مشفر البعير وجحفلة الفرس ، وعلى ذلك قول الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجياً غليظ المشافر

فهذا يتضمن معنى قولك : « ولكن زنجياً كأنه جمل لايعرفني ولايهتدي لشرفي »[٢] .

فاستعمال المشفر في الإنسان وهو موضوع للجمل كان لغرض المشابهة بين هذا الإنسان والجمل في عدم المعرفة والتمييز ، لذلك فإن الاستعارة هنا تكون مفيدة .

وكذا قول الحطيئة :

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلّص عن برد الشّراب مشافره[٣]

---

(١) نفس المرجع ص٣٤ .

(٢) نفس المرجع ص٣٤ ، ٣٥ .

يهجو الفرزدق أيوب بن عيسى الضبي لما حبسه بأمر مالك بن مسمع .

(٣) القرى : مايُقدم للضيف . العيمان : من ذهبت إبله وكان به شهوة لشرب اللبن .

قلص : تداني وانضم .

من الاستعارة المفيدة ، إذ إن الحطيئة لما أراد زيادة التهكّم بالزبرقان ورميه بإضاعة الضيف وتركه للضر والبؤس استعار لنفسه اسم عضو من أعضاء الإبل ليدل على سوء حاله وهوانِهِ لديه .

ومنه قول جبيهاء الأشجعي[١] :

وأشعث مسترخي العلابيّ طوحت ... به الأرض من باد عريض وحاضر

فأبصر ناري وهي شقراء أوقدت ... بعلياء نشز للعيون النواظر

فما رقد الولدان حتى رأيته ... على البكر يمريه بساق وحافر

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... بهذا المحيّا من محيّ وزائر[٢]

يصف ضيفاً بسوء الحال في مسيره وما لاقى من جهد ونصب ، فلما جعله أشعث مسترخي العلابيّ ناسب أن يجعل له حافراً ليزيد من صفة الضر والبؤس التي كان عليها الضيف . فاستعمال الحافر هنا لا لصعوبة القافية بل لغرض التشبه .

ويقول عقفان بن قيس بن عاصم :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها ... إلى ملك أظلافه لم تشقق[٣]

قوله أظلافه لم تشقق ، يريد به : أنه منتعل مترفّه لم تشقق قدماه .

وقال أوس بن حجر :

---

(١) جبيها الأسدي في اللسان .

(٢) العلابي : سمة في صفحة العنق .

يمريه : يستخرج ماعنده من الجري .

(٣) الظلف : ظفر كل ما اجتر ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها . « كان النعمان ابن المنذر استعمل الغلاّق بن عمرو الرياحيّ على هجائن من يلي أرضه من العرب ، وكانت لعقفان هذا هجائن فأخفاها ، فطلبها الغلاّق ، فعمد عقفان بإبله حتى أتى النعمان ، فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً ، سمط اللآلى ، ص٧٤٦ .

لِيبكِ الشرب والمدامة والـ ... فتيان ، طرا ، وطامع طمعا

وذات هِدْم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولبا جدعا[1]

لما كان المقام مقام فقر وضنك وبؤس ناسب أن يصف ولد هذه المرأة المعدمة بصفات الأنعام ، فجعل ولدها تولبا .

وقال عبدة بن الطبيب :

وقد غدوت وقرن الصبح منفتق ... ودونه من سواد الليل تجليل

إذ أصبح الديك يدعو بعض أسرته ... عند الصباح وهم قوم معازيل[2]

٢ - الاستعارة في الاسم والاستعارة في الفعل :

والقسم الذي يعنينا ويهمنا من القسمين السابقين هو القسم الذي تظهر باستعارته فائدة ومعنى وغرض من الأغراض هو التشبيه ، والحديث عنه طويل لأن طرقه تختلف وتتعدد ولا تكتمل إلا بفصول وتقسيمات ، فهو القسم الأولى أن يعد استعارة لما فيه من الافتتان وإظهار الحُسن وإبراز البيان في صورة جديدة .

ويقسم عبدالقاهر الاستعارة قسمين : استعارة في الاسم - أي نقل الاسم عن مسماه الأصلي - واستعارة في الفعل - أي نقل مصدر الفعل ثم اشتقاق فعل منه حيث يقول « اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة فإنها لاتخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً »[3] .

---

(١) الهدم : الثوب الخلق المرقع . التولب : ولد الحمار . جدع : سوء الغذاء .
النواشر : عصب الذراع من داخل وخارج .

(٢) معازيل : الذين لاسلاح معهم . وأراد بقوله « وهم قوم » : الدجاج .

(٣) الأسرار ص٤٢ .

وهو في هذا يقصد ما أطلق عليه المتأخرون بعده بالاستعارة الأصلية (في الاسم) ، والاستعارة التبعية (في الفعل)[١] .

ثم يتناول كلاً من الاستعارتين بالشرح ، فيقسم الاستعارة في الاسم قسمين :

أ - ماله مقابل :

وهو الاسم الذي « ننقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف وذلك قولك « رأيت أسداً » وأنت تعني رجلاً شجاعاً و « عنت لنا ظبية » وأنت تعني امرأة و « أبديت نوراً » وأنت تعني هُدى وبياناً وحجة وما شاكل ذلك »[٢] .

فالأسد هنا يقابله الرجل ، والظبية تقابلها المرأة ، والنور يقابله الهُدى والبيان ، فالتشبيه يتّضح هنا دون أن يكون هناك حاجة إلى التفكير الطويل ، لأن الاسم « في هذا كله كما تراه متناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال : إنه عُني بالاسم وكُني به عنه ونقل عن مسماه الأصليّ فجعل اسماً له على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه »[٣] . وهذا ما لانلحظه في القسم الثاني .

ب - ماليس له مقابل :

وفيه « يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لايبين فيه شيء يُشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي أُستعير له وجُعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه ومثاله قول لبيد :

---

(١) جاء المتأخرون فجعلوا الاستعارة التبعية في الفعل والمشتقات والحرف .

(٢) نفس المرجع ص٤٢ .

(٣) نفس المرجع ص٤٢ .

وغـداة ريـح قد كشفـت وقـرة   إذ أصبحت بيـد الشّمـال زمامهـا*

وذلك أنه جعل للشمال يداً ومعلوم أنه ليس هناك مشـار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه كإجراء الأسد والسيف على الرجـل في قـولك « انبرى لي أسد يـزأر » و « سللت سيفاً على العدو لايُفل »[1] .

فهذا النوع من الاستعارة لايوجد فيه مقابل للمستعار ، كما هو واضح في بيت لبيد ، إذ لاوجود لشيء يقابل اليد ، فلا تستطيع القول بأنه أراد باليد كذا كما قلت في القسم الأول : أراد بالأسد الرجل الشجاع « بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر المصرف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفّه ، وذلك كلّه لايتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يُحسّ وذات تتحصّل »[2] .

فالاستعارة تفهم من تَخُيّل الريح شخصاً له إرادة يدير بها الأمور ويصرفها في تمكن واقتدار فيأتي بالقرّ والبرد ، كتمكّن الماسك لزمام النّاقة من تسييرها وتوجيهها .

وقد ذكر الإمـام هـذا التقسيم في الدلائل موضحاً خلط الناس بين القسمين فقال : « فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره ، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيـره المشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول : « رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعتـه وقوّة بطشه سـواء » فتـدع ذلك وتقول : « رأيت أسداً » وضرب آخر من الاستعارة ، وهو ماكان نحو قوله :

---

(١) نفس المرجع ص٤٢ ، ٤٣ .   (٢) نفس المرجع ص٤٤ .

(*) البيت لأبي عقيل لبيد بن ربيعة يقول فيه :

ورب غداة ريح قد كشفت الجوع بالقِـرىٰ   والقرة البرد ، إذ أصبح زمام الريح أو البرد - بحسب عودة الضمير- في الغداة بيد الشمال . وهو يصف شدة البرد والجوع وكرمه .

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها .

هذا الضرب وإن كان الناس يضمّونه إلى الأول حيث يذكرون الاستعارة ، فليسا سواء . ذاك أنك في الأول تجعل الشيء الشيء ليس به ، وفي الثاني للشيء الشيء ليس له »[١] ، ثم يتابع حديثه للتوضيح قائلاً : « تفسير هذا : أنك إذا قلت « رأيت أسداً » فقد ادّعيت في إنسان أنه أسد ، وجعلته إياه ولايكون الإنسان أسداً .

وإذا قلت : « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » فقد ادّعيت أن للشمال يداً ، ومعلوم أنه لايكون للريح يد »[٢] . ففي الأولى نستطيع أن ندّعي أن الإنسان أسد ، وفي الثانية لايتأتى ادعاء أن للريح يداً ، وإنما ندّعي أن الريح كذي اليد من الأحياء في تصريفه للأمور ، ويزيد الأمر وضوحاً في الأسرار فيقول : « أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرّفاً كتصرف الإنسان في الشيء يقلّبه فاستعار لها اليد حتى يبالغ في تحقيق الشبه ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حُكم اليد في استعارتها للشمال ، إذ ليس هناك مشار إليه يكون « الزمام » كناية عنه ولكنه وفّى المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً ليكون أتم في إثباتها مصرَّفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها مصرّفة »[٣] .

هذا ، وواضح من حديث عبدالقاهر أنه يقصد بالنوع الأول - ماله مقابل - ما أطلق عليه فيما بعد : الاستعارة التصريحية ، والتي يُصرَّح فيها باسم المشبه به مع حذف المشبه ، وكما هو ملحوظ أن المشبه محذوف والمشبه به مصرح به موجود وهو الأسد ، وكذلك قولنا « عنت لنا ظبية » أي امرأة في جمالها تشبه

---

(١) الدلائل ص٦٧ .

(٢) نفس المرجع ص٦٧ .

(٣) الأسرار ص٤٤ .

الظبية ، فالمشبه محـذوف والمشبه به مصرح به وهو الظبية وهذا سبيل الاستعارة التصريحية .

أما النوع الثاني - ماليس له مقابل - فهو الاستعارة المكنية وفيها يحذف المشبه به ويؤتى بلازم من لوازمه ليدل عليه ، فهذه « الشمال » يشبهها لبيد بذي اليد فيحذف الإنسان (مثلاً) ويثبت اليد - التي هي من لوازمه - للشمال .

فرقان آخران بين النوعين :

وبعد تفصيله القول في القسمين يزيد ذلك إيضاحاً وبياناً بذكر الفرق بينهما فيقول « إن الشبه في القسم الأول - الذي هو نحو « رأيت أسداً » تريد رجلاً شجاعاً - وصف موجود في الشيء (الذي استعرت اسمه وهو الأسد ، وأما قولك « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » فالشبه) الذي له استعرت اليد ليس بوصف في اليد ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف على وجه مخصوص »[١] .

فالشبه في القسم الأول - رأيت أسداً - وصف موجود في الأسد ، وهو الشجاعة . أما في القسم الثاني - إذ أصبحت بيد الشمال زمامها - فالشبه غير موجود في اليد باعتبار هيئتها ، ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف بتمكن واقتدار كالذي يكون مُمَكنا بيده زمام الناقة على وجه مخصوص .

وهناك فرق آخر يقول فيه الإمام : « ويفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفواً ، كقولك في « رأيت أسداً » « رأيت رجلاً كالأسد » أو « رأيت مثل الأسد »

---

(١) نفس المرجع ص٤٨ ، ومابين القوسين من عمل ريتر : استدراك يقتضيه سياق الكلام .

أو « شبيهاً بالأسد » وإن رمته في القسم الثاني وجدته لايواتيك تلك المواتاة إذ لاوجه لأن تقول « إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال » أو « حصل شبه باليد للشمال » وإنما يتراءىٰ لك التشبيه بعد أن تخرق إليه ستراً ، وتعمل تأملاً وفكراً ، وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحدّ الأول كقولك « إذ أصبحت الشمال ولها في قوّة تأثيرها في الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده ، وإجراءه على موافقته وجذبه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته ، وتنحوها إرادته ، فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع هاهنا - إذا رجعت إلى الحقيقة ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي - لايلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف إليه ، ألا ترى أنك لم ترد أن تجعل الشمال كاليد ومشبّهة باليد كما جعلت الرجل كالأسد ومشبّهاً بالأسد ، ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له - وهو نحو الشمال - ذا شيء ، وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لانفس ذلك الشيء فاعرفه »[١] .

فتشبيه « زيد » بـ « الأسد » في الشجاعة يبدو واضحاً في النوع الأول ، أما النوع الثاني فإن التشبيه « بقابض زمام الناقة » في القدرة والتصرف لايكون إلا بعد تشبيه الشمال بالإنسان ، ثم وصفه بأنه مدبّر لأمر الزمام الذي بيده .

وكما هو ملحوظ أنه لما كان لابد لكل استعارة من بناء على التشبيه فقد أوضح عبدالقاهر أن التشبيه - فيما ليس له مقابل - فيما أُضيف إلى المشبه من وصف ، وأن هذا التشبيه ليس إلا متخيلاً مقدراً في النفس ، ومن هنا جعل الخطيب هذا النوع تشبيهاً مضمراً في النفس يقول « قد يضمر التشبيه في النفس ، فلا يصرح

---

(١) نفس المرجع ص٤٤ ، ٤٥ .

بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يُثْبَتَ للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسّاً أو عقلاً أُجرى عليه اسم ذلك الأمر »[١] .

والجدير بالذكر أن عبدالقاهر جعل الاستعارة هنا في (اليد) و (الزمام) وأشار إلى تشبيه لبيد للشمال ، فجاء المتأخرون وجعلوا الاستعارة في « الشمال » استعير لها الإنسان ، وجعلوا إضافة « اليد » استعارة أخرى سمّوها (تخييليه) .

فالفرق الثاني كما هو واضح : هو إدراك الشبه بسهولة في القسم الأول كقولنا في « رأيت أسداً » « رأيت رجلاً شبيهاً بالأسد » ، أما في القسم الثاني فلايأتي بتلك السهولة وإنما يجب فيه إعمال الفكر والتّأمّل كما سبق توضيحه ، فلم يقصد في بيت « لبيد » تشبيه « الشمال باليد » كما شبّه « الرجل بالأسد » ولكنك تريد تشبيه « الشمال بذي اليد » ثم تجرى عليه أوصاف وأحوال « ذي اليد » من تصريف الأمور .

الاستعارة في الفعل :

يقول الإمام في بيانها : « وإذ قد تقرر أمر الاسم في كون استعارته على هذين القسمين ؛ فمن حقنا أن ننظر في الفعل هل يحتمل هذا الانقسام والذي يجب العمل عليه أن الفعل لايتصور فيه أن يتناول ذات شيء كما يتصوّر في الاسم ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذي اشتق منه للشيء في الزمان الذي تدل صيغته عليه ، فإذا قلت « ضرب زيد » أثبت الضرب لزيد في زمان ماض ، وإذا كان

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للإمام الخطيب القزويني . ج٢ ص٤٤٤ .

كذلك فإذا استعير الفعل لما ليس له في الأصل فإنه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى الذي ذلك الفعل مشتق منه »[١] .

فالاسم يدل على ذات ، أما الفعل فلا ، إنما يدل الفعل على حدث وزمن ، فإذا استعملنا الفعل فيما ليس له في الأصل فإننا بذلك نثبت له المعنى الذي اشتق منه « بيان ذلك أن تقول « نطقت الحال بكذا » و « أخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره » و « كلمتني عيناه بما يحوي قلبه » ، فنجد في الحال وصفاً هو شبيه بالنطق من الإنسان ، وذلك أن الحال تدل على الأمر ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء .

كما أن النطق كذلك . وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها وفي نظرها وخواص أوصاف يحدس بها على ما في القلوب من الإنكار والقبول »[٢] .

وعلى ذلك فإن هذه الاستعارة تنصرف إلى المصدر « فإذا قلت « نطق الحال » فقد استعرت أولاً « النطق » « للدلالة » ثم أطلقت « نطقت » فالمشبه « الدلالة » والمشبه به « النطق » والجامع حصول الفائدة* ، ويرد عليه ماسبق من أن المجاز لفظ المصدر الذي هو النطق ولم يلفظ به حتى يكون هو المستعار أولاً ثم اشتق منه النطق وجوابه أنه المستعار أولاً تقديراً لاتحقيقاً ثم يلزم أن يكون « نطق الفعل الملفوظ به مستعاراً من النطق المجازي »[٣] ومن ثم يكون بيان الاستعارة على النحو التالي :

---

(١) الأسرار ص٤٨ .

(٢) نفس المرجع ص٤٨ ، ٤٩ .

(٣) عروس الأفراح من شروح التلخيص ج٤ ص١١١ .

* الفائدة هي البيان الواضح .

شبّهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع كمال الوضوح في كلٍ ، واستعير المشبه به للمشبه ثم حذف المشبه واشتق من النطق بمعنى الدلالة « نطق » بمعنى « دل » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومما يزيد القضية وضوحاً ذلك الأمر الذي تنبّه له الإمام عندما ذكر طريقة معرفة الاستعارة في الفعل ، وهو ماعُرف بعده « بـ قرينة الاستعارة » .

قرينة الاستعارة في الفعل :

والاستعارة قد تُعرف من جهة الفاعل - كما في الأمثلة السابقة - أو من جهة المفعول ، كما في قول ابن المعتز :

جمـع الحــق لنــا في إمــام قتــل البخــل وأحيــا السمــاحا

فلما كان البخل والسماح مما لايمكن أن يقع عليهما قتل وإحياء ، على الحقيقة عرفنا أن في الكلام مجازاً .

فالاستعارة إنما حصلت بسبب تعدية (قتل) و (أحيا) إلى البخل والسماح ، لأنه لايحدث فيهما قتل وإحياء وإنما يحدث القتل والإحياء للكائن الحي ، فلو قال : قتل الأعداء ، لم تكن هناك استعارة .

وقد تكون الاستعارة من جهة المفعولين معاً ، كقول القائل[1] :

وأقـرى الهمـوم الطارقــات حزامــة إذا كثـرت للطارقــات الوســاوس

فالقرى لايمكن أن يتعدى إلى الهموم ، ولا أن يكون حزماً على الحقيقة ، ومن هنا علمنا أن في الكـلام مجــازاً ، فالاستعارة في الفعل (أقرى) لتعديه إلى الهموم - مفعول به أول - وحزامة - مفعول به ثان .

وقد تُعرف الاستعارة من أحد المفعولين دون الآخر ، وذلك كقول القطامي :

---

(١) الذهلول بن كعب العنبري .

نقريهـــم لهذميـــات نقـدّ بهـــا ما كـــان خـــاط عليهـم كـــل زراد[1]

فمدار قرينة الاستعارة في الفعل هنا على المفعول الثاني (فإن المفعول الثاني - وهو اللهذميات - قرينة على أن « نقريهم » استعارة) ؛ لأن الهاء في « نقريهم » مفعول به على الحقيقة فهو يريد « نقرى الأعداء » ، وهذا كلام واقع على حقيقته لو اقتصر عليه ، لكن الاستعـارة تحدث عندما يقول نقري الأعداء الأسِنّة القاطعة ، لأنه لايمكن أن يكون "القرى" أسنة قاطعة على الحقيقة فعلمنا أن القرى استعارة تهكّمية .

فالقرينة - في كل ماسبق - صرفت الفعل عن معناه الحقيقي ونبّهتنا إلى أن الفعل مراد به غيره . ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الاستعارات في الأفعال تلتبس بالقسم الثاني من الاستعـارة في الاسـم وهي المكنيـة ، ففي قول الشاعر : « قتل البخل وأحيا السماحا » ، يرى بعض الباحثين أن الاستعارة في البخل والسماح على التشبيه بالأحياء وليس في الفعل[2] ، ولكن كما ذكر بعضهم : الفصل في القضيـة الخبـرة بمسارب المعـاني وطرقهـا ، فالشاعر هنا لم يقصد أن يشخّص « البخل والسماح » ليصل عن طريقهمـا إلى المعنى ، وإنمـا أراد معنى الفعليـن « القتل والإحياء » فهذا هو الخصوص بالمدح في المعنى وإن كانت الاستعارة في الفعل قد ألقت ظلاً على الاسم فبدا أكثر حركة وحيوية .

---

(١) اسمه عمير بن شييم ، والقطامي : لقب غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم .
اللهذميات : القاطعات من الأسنة ، مفردها لهذم ، والقد : القطع ، والزراد : صانع الدروع ، يقول ساخراً : نكرمهم بطعنات نقطع بها مايلبسونه من دروع .

(٢) انظر التصوير البياني ص٣٠٣ ، الدكتور محمد أبو موسى .

تقسيم باعتبـار الجامع والطرفيـن :

يجعل عبدالقاهر أساس المفاضلة بين استعارة وأُخرى الجامع (وجه الشبه) فالاستعارة تتفاوت في القوة والضعف تبعاً لاختلاف وجه الشبه ، يقول في ذلك « أنا أريد أن أدرجها من الضعف إلى القوّة وأبدأ في تنزيلها بالأدنى ثم بما يزيد في الارتفاع لأن التقسيم إذا ارتفع في خارج من الأصل فالواجب أن يُبدأ بما كان أقل خروجاً منه وأدنى مدى في مفارقته »[١] .

وهي على ثلاثة أضرب :

أ - الضرب الأول : الاستعارة القريبة من الحقيقة :

وفيها يكون الجامع موجوداً في معنى المستعار والمستعار له وداخل في حقيقتهما من حيث عموم الجنس « كالسرعة » مثلاً في جنس الحركة سواء كان « طيراناً أو عدواً أو سبحاً » ، يوضح هذا الضرب قائلاً : « أن يرى معنى الكلمة المستعارة موجوداً في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوّة والضعف ، فأنت تستعير لفظ الأفضل لما هو دونه ، ومثاله استعارة الطيران لغير ذي الجناح إذا أردت السرعة وانقضاض الكواكب للفرس إذا أسرع في حركته من علوّ والسباحة له إذا عدا عدواً كان حاله فيه شبيهاً بحالة السّابح في الماء ، ومعلوم أن الطيران والانقضاض والسباحة والعدو كلها جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق إلا أنهم نظروا إلى خصائص الأجسام في حركتها فأفردوا حركة كل نوع منها باسم ، ثم إنهم إذا وجدوا في الشيء في بعض الأحوال شبهاً من حركة غير جنسه استعاروا له العبارة من ذلك الجنس »[٢] .

---

(١) الأسرار ص٥١ ، ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ص٥٢ .

والأمثلة التي يستشهد بها الشيخ على هذا الضرب كثيرة ، منها ماقاله مضرس ابن ربعى الأسدي :

وفتيـــان شويت لهـم شـــواء سريع الشي كنت به نجيحـــا

فطــرت بمنصلـي في يعمـــلات دوامي الأيـد يخبطن السريحـــا[1]

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها »[2] .

وقول الشاعرة :

لو يشـــا طـــار به ذو ميعـــة لاحــق الآطـــال نهــد ذو خصــل[3]

فقد استعير الطيران في هذه الأمثلة لغير ذي الجناح : الإنسان - في المثالين الأولين - والحيــوان - كما في المثــال الثالث - بجامع السرعة في كلٍ ، والسرعة - كما هــو واضــح - موجــودة في معنى الكلمــة المستعــارة « طار » وفي المستعار له « العَدْو » .

ومن ذلك قول البحتري :

يتراكمون على الأسنّـــة في الوغـــى كالفجـــر فاض على نجــوم الغيهب[4]

---

(١) يقول واصفاً نفسه بالجود : أسرعت بسيفي في نياق مطبوعة على العمل قد دميت أيديهن من محاولة قطع السيور .

(٢) الهيعة : الصوت الذي يُفزع منه .

(٣) لامرأة من بني الحارث ، الميعة : الجرية السهلة ، وميعة الفرس : أول جريه . لاحق : ضامر الآطال : جمع إطل وهو الخاصرة . نهد : جسيم مشرف ، وقيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع . الخصلة : الشعر المجتمع .

(٤) وصفهم بالشجاعة فقال : يجتمعون على أسنة الرماح اللامعة فيغطي شعاع دروعهم لمعان الأسنة كما يغطي ضوء الفجر النجوم .

استعير « الفيضان » - وهو موضوع لمفارقة الماء مكانه دفعة - وانبساطه - للفجر بجامع الانبساط في كلٍ ، والانبساط موجود في معنى الكلمة المستعارة « فاض » وفي المستعار له « الظهور » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وقد نثرتهم روعة ثم أحدقوا   به مثلما أَلَّفْت عقداً منظّما

وقول المتنبّي :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة   كما نثرت فوق العروس الدّراهم

الجامع هو التفرق ، وهو موجود في المستعار « النثر » وفي المستعار له « تساقط المنهزمين على غير ترتيب ونظام » .

وإذا كان « النظم » في الأصل لما يجمع في السلوك من الحبوب والأجسام الصغار ، فإن قول الشاعر :

قالوا أينظم فارسين بطعنة   يوم الهياج ولاتراه كليلا

من قبيل الاستعارة القريبة لأن جمع فارسين في سنان واحد من جنس جمع الأجسام الصغار في السلوك .

ومن هذا الضرب قول البحتري :

وفي يدك السيف الذي امتنعت به   صفاة الهدى من أن ترق فتخرقا[1]

ومنه أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[2] إذ إن التمزيق في أصل اللغة

---

(١) الشاهد في الفعل « تخرق » ، إذ شبه الدواعي التي تعترض الهدى فتحدث فيه أمراً فتفسده بحال رقة الصفاة ومن ثم خرقها ، على سبيل الاستعارة التصريحية .
أو : شبه الهدى بشيء محسوس وحذف المشبه به وجاء بلازم من لوازمه وهو الرقة والخرق على سبيل الاستعارة المكنية . الشيخ يجعل الأمر هنا بين الخرق والصدع ، وأصل الخرق في الثوب ، وأصل الصدع في الصفاة ، فالخرق والصدع من وادٍ واحد .

(٢) سورة سبأ ، آية ‹١٩› .

للثوب وقد استعير هنا لجماعة الناس بجامع التفريق في كل . وهي استعارة قريبة من الحقيقة لأن تمزيق الثوب كما نعلم : تفريق بعضه عن بعض .

وكذا « القطع » يكون لازالة الاتصال من الأجسام التي تلتزق أجزاؤها وإذا استعمل في تفريق الجماعة فإنه يكون من قبيل الاستعارة كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُم فِي الأَرْضِ أُمَمًا** ﴾[1] .

ومن هذا قول القطامي :

لم تلق قوماً هم شر لإخوتهم ... منّا عشيّة يجرى بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

يقول الإمام : لأن الخياطة تضم خرق القميص ، والزرد يضم حلق الدرع ، أفلا تراه بيّن أن جنسهما واحد وأن كلاً منهما ضُم ووصل وإنما يقع الفرق من حيث إن الخياطة ضم أطراف الخرق بخيط يسلك فيها على الوجه المعلوم والزرد ضم حَلَق الدرع بمداخلة توجد بينها إلا أن الشكال الذي يلزم أحد طرفي الحلقة الآخر بدخوله في ثقبتيهما في صورة الخيط الذي يذهب في منافذ الإبرة »[1] .

ويرى الإمام إمكان خلط البعض بين هذا الضرب والقسم اللفظي - غير المفيد - فيرى أنه لافرق بين استعارة الطيران للفرس واستعارة « الشفة للفرس » كأنهما نوع واحد ، حيث إن «الطيران » يتميز بوصف خاص غير موجود في « عدا وجرى » فكذلك « الشفة » تتميز بوصف خاص لايوجد في « الجحفلة » ، فيحاول كعادته إزالة هذا الخلط فيوضح الفرق بين هذين الضربين ، وذلك أن العبرة هي في وجود الشبه بين المستعار منه والمستعار له ، فاستعارة « طار » لـ« الفرس » يقصد بها تشبيه الفرس بالطائر في السرعة ، أي إننا لانقول : « طار الفرس » إلا في حالة خاصة ، تلك الحالة التي نريد منها التشبيه بين الطرفين ، أما استعارة

---

(١) سورة الأعراف ، آية ‹١٦٨› .

(٢) الأسرار ص٥٧ ، ٥٨ .

اسم العضو - كاستعارة العجاج السابقة الذكر - فلم يُقصد فيها التشبيه ، إذ إنه من غير المعقول أن يمدح فيشبه أنف المرأة بأنف الحيوان ، لأن هذا العضو من غير الإنسان لايوصف بالجمال كما يكون ذلك في العين والجيد[1] .

ب - الضرب الثـاني :

هو « أن يكون الشبه مأخوذاً من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه على الحقيقة وذلك قولك : « رأيت شمساً » تريد إنساناً يتهلل وجهه كالشمس ، فهذا له شبه باستعارة « طار » لغير ذي الجناح ، وذلك أن الشبه مراعى في التلألؤ وهو كما نعلم موجود في نفس الإنسان المتهلل لأن رونق الوجه الحسن من حيث حسّ البصر مجانس لضوء الأجسام النيّرة »[2] .

فالصفة في هذا الضرب تكون موجودة أيضاً في كل من المستعار له والمستعار منه إلا أن الفرق بين هذا الضرب والضرب الأول : أن الصفة في الثاني توجد في جنسين مختلفين ، فالشمس ليس من جنس الوجه ، أما الطيران وجري الفرس فهما من جنس واحد وهو الحركة السريعة وكذلك إذا قلت « رأيت أسداً » تريد رجلاً ، فالصفة المشتركة بينهما هي « الشجاعة » وهي موجودة في الإنسان والحيوان على الحقيقة والفرق يأتي من جهة القوة والضعف والزيادة والنقصان ، فالصفة هنا موجودة بين جنسين مختلفين : الإنسان ، الحيـوان .

جـ - الضرب الثـالث :

وهو « الصميم الخالص من الاستعارة . وحدُّه أن يكون الشبه مأخوذاً من الصـور

---

(١) انظر أسرار البلاغة من ص ٥٥ - ٦٠ .

(٢) نفس المرجع ص٥٨ .

العقلية وذلك كاستعارة النور للبيـان والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب كما جاء في التنزيل من نحو قوله عز وجل : ﴿ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ** ﴾[١] ، وكاستعارة الصراط للدين في قوله تعالى : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[٢] ، و ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[٣] »[٤] .

فالشبه هنا عقلي مأخوذ من أمور عقلية ، والفرق واضح بين هذا الضرب والضربين السابقين - ذلك أن مابين طيران الطائر وجري الفرس اشتراك في عموم الجنس وهي الحركة ، وأن مابين الرجل والأسد اشتراك في طبيعة معلومة وهي الشجاعة ولايوجد شيء من ذلك في استعارة « النور للبيان » ، فالشبه هنا لاتحصل منه على جنس ولا على طبيعة وغريزة ، مما يشهد لذلك - مثلاً - أن القلب إذا وردت عليه الحجة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور ووجهت طلائعه نحوه ، وجال في معارفه وانتشر أو أثبت في المسافة التي يسافر طرف الإنسان فيها »[٥] .

وهذا الضرب هو أعلى درجات الاستعارة وهو « المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، ويتّسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرّفها »[٦] .

ثم قسّم الضرب الأخير ثلاثة أقسام سمّاها أصولاً :

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية ‹١٥٧› .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ‹٦› .

(٣) سورة الشورى ، آية ‹٥٢› .

(٤) الأسرار ص٦٠ .

(٥) نفس المرجع ص٦٠ بتصرف يسير .

(٦) نفس المرجع ص٦٠ .

الأصل الأول : استعارة محسوس لمعقول :

وفيه يؤخذ الشبه من الأشياء المدركة بالحواس للمعاني المعقولة . وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة ، فالنــور مشاهد بالبصر وقد استعير للبيـان والحجة وهما مما يتوصل إليهما عن طريق العقل ، ومنه أيضاً استعارة « النــور للعلم والإيمان » ، و استعارة « الظلمة للشبهة والجهل والكفر » ، واستعارة « القسطاس للعدل » وغيرها من الاستعارات .

الأصل الثاني : استعارة المحسوس للمحسوس والشبه عقلي :

وفيه يؤخذ الشبه من الأشياء المدركة بالحــواس للأشياء المدركة بالحواس أيضاً مع كون وجه الشبه عقلياً . وذلك كما في الأثــر : « إياكم وخضـراء الدمن » فالمشبه : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، والمشبه به : النابتة على الدمنة ، وكلاهما محسوس ، أما وجه الشبه فهو أمر عقلي وهــو : حُسن الظاهر وفساد الباطن .

وكعادة الإمام في الشرح والتفصيل ينبّـه إلى وجود فرق بين استعارة حسي لحسي والجامع أيضاً حسي واستعارة حسي لحسي والجامع عقلي حتى لايلتبس الأمر على البعض .

مثال ذلك أننا حين نقول : « نجوم الهدى » ونقصد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالواجب في وجه الشبه هنا أن يكون عقلياً وهو الاهتداء ، إذ إن الراجع إلى علوم وآثار وأفعال الصحابة -رضوان اللــه عليهم - ينال النجاة من الضلال ، شأنه في ذلك شأن المهتدي بالنجوم في ظلام الليل . هذا في استعارة النجوم للناس ، أما استعارة النجوم للمصابيح فلا يكون منه ، لأن وجه الشبه في هذا - استعارة النجوم للمصابيح - يكون من حيث الحس والمشاهدة وهو الضوء واللمعان لا الهداية والاسترشاد ، فالتشبيه بالنجــوم قد يكون حسّياً وقد يكــون

عقلياً ، أما مالايكون الشبه فيه إلا عقلياً فذلك في مثل قولنا : « ملح الأنام » ونحن نقصد الصحابة - رضوان الله عليهم - إذ لاسبيل هنا لوجه الشبه إلا أن يكون من طريق الصورة العقلية وهو أن صلاح الناس بالصحابة كصلاح الطعام بالملح .

الأصل الثالث : أخذ الشبه من المعقول للمعقول :

ابتدأ الشيخ هذا الموضع باستعارة الوجود للعدم والعدم للوجود ، ثم ذكر أن غير هذا يأتي على طريقتين :

الطريق الأول :

أن يكون موضوع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة مع وجودها لخلوها من ثمرتها كتشبيه الوجود بالعدم نحو تشبيه « الجاهل بالميت » ، وذلك عندما تختفي المعاني التي تظهر قدراً للشيء وتجعل له ذكراً ، يكون وجود هذا الشيء كلا وجود . وخرج من هذا أن يكون المستحق لصفة الحياة هو العالم المتيقّظ ، ولما كان أشرف العلوم هو « التوحيد » جعل من حصل له العلم كالحي ومن فقده كالميت ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[1] .

والعلم والقدرة من لوازم الحياة ومضادة للموت ولذلك صار إطلاق الحياة مرة عبارة عن العلم وأُخرىٰ عن القدرة ، وإطلاق الموت إشارة إلى عدم القدرة وضعفها تارة وإلى عدم العلم وضعفه أُخرىٰ .

ثم يستطرد عبدالقاهر هنا إلى أمور خارجة عن الاستعارة وهي كراهيته للمبالغة في تنزيل الوجود منزلة العدم مما يصل إلى ضرب من التهوس بطلبهم منزلة بعد العدم ، كقول أبي تمام :

---

(١) سورة الأنعام ، آية «١٢٢» .

أفيّ تنظم قول الزّور والفند وأنت أنزر من لاشيء في العدد

وقول ابن نباته :

مازلت أعطف أيّامي فتمنحني نيلاً أدق من المعدوم في العدم

والعكس يكون في إثبات الفضيلة للمذكور بإثبات اسم الشيء له وهو على وجهين :

١ - المدح على المبالغة نحو : هذا هو الشيء وماعداه فليس بشيء .

٢ - المدح على التوسط نحو « هذا شيء » أي يعتد به .

وفي هذه الطريقة تفاوت :

١ - تريد نفي القيمة عن الشيء ، فتقول « هذا إما لا ، شيء » أي لايعتد به أبداً .

٢ - تريد إثبات القيمة فتقول « هذا شيء » أي شيء له قدر .

٣ - تريد المبالغة في التفضيل فتقول « هذا هو الشعر فحسب » أي حقيقة الجنسية مقصورة على المذكور .

أما عدم الاعتداد بالصفة فهو إما أن يأتي مطلقاً كقولنا على من لم يستفد من سمعه وبصره « هو أعمى أصم » ، أو مقيّداً كقول الشاعر :

أصم عمّا ساءه سميع .

جعله أصم في شيء دون شيء .

الطريق الثاني :

أن تعتبر صفة معقولة يتصور وجودها مع ضد مااستعرت اسمه . كوجود الكراهية مع الحياة التي هي ضد الموت ، فيقال : « لقي الموت » يريدون : لقي الأمر الأشد الصعب الذي هو في كراهة النفس له كالموت .

ثم ذكر الشيخ أن كل الناس يكرهون الموت - وهم أحياء - أما العارفون

فلتوقعهم ماسيلقونه من النعيم في الآخرة خفّت عندهم كراهية الموت ، وضرب مثلاً بالدواء المرّ ، تهون مرارته لعلم الشارب بما يعقبه من الصحّة .

ثم رجع إلى أصل المسألة الأولى :

استعارة الموت للجهل ، وقال : إن للجهل ضداً وهو العلم ، والعلم ملازم للحياة ، فالتعبير عن الجاهل بالميت يُلحظ فيه الحقيقة ، لأن الذي لايعلم شيئاً ميت على الحقيقة ، لما كان العلم والحياة متلازمين .

ثم ذكر استعارة « الموت للسؤال » ، ونظر إلى استعارة الموت للجهل وقال إن هذا من قبيل استعارة الموت للشيء الشديد للكراهية لأنه ليس للسؤال ضد ينافي الموت . مثاله قول الشاعر :

لاتحسبن الموت موت البلى وإنما الموت سؤال الرجال

وأما استعارة « الموت للخامل » فهو داخل في تنزيل الوجود منزلة العدم ولكن ليس دخوله فيه كدخول استعارة « الميت للجاهل » وذلك أن وجود العلم يستلزم وجود الحياة ، في حين أن الذكر قد يوجد ولاتوجد الحياة ، وكذلك الجهل مطلقاً يقتضي الموت ، في حين أن خمول الذكر لايوجبه ، فهو - أي قولنا خامل الذكر كالميت - أقرب إلى التّخييل من جعل الجاهل ميتاً لأنه أقرب إلى الحقيقة .

ثم ذكر أن رأي من قال إنه على الحقيقة مقبول لأن المراد ليس أخذ شبه من شيء لشيء كأخذ الشجاعة من الأسد والنور للحجة وإنما هو تنزيل شيء منزلة شيء ، إن من قال هذا لم يعارضه وإنما تتبع الإمام ظاهر الحال في قولهم « موجود كالمعدوم » و « شيء كلاشيء » فإن أبى القارىء الأخذ بهذا الظاهر فعليه أن يعلم القاعدة في هذا الأصل الثالث وهو أن تشبيه المعقول بالمعقول إما أن يكون تنزيل الوجود منزلة العدم ، أو أن يكون لأحد المعنيين شبه من الآخر في صفة لاتنافي اللفظ المستعار منه .

الفصل الرابع

قيمها الجمالية والبلاغية
وأسباب حسنها

لاشك أنه قد لوحظ اهتمام عبدالقاهر بالحديث عن الاستعارة حديثاً مفصلاً لم يسبقه إليه أحد من علماء البلاغة فتناولها بالتعريف وبيّن أقسامها ومكانها بين التشبيه والتمثيل ، لم يكن ذلك كله إلا لعلمه اليقين بأهميتها ومدى تأثيرها في النظم فهي مع التشبيه والتمثيل « أصول كبيرة كان جل محاسن الكلام - إن لم نقل كلها - متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها »(١) فهي من الأساليب التي تزيد الكلام حسناً إذا وقعت موقعها وأصابت غرضها . يقول في ذلك : « فانظر إلى الأشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ ، ووصفوها بالسلاسة ، ونسبوها إلى الدماثة . . . كقوله :

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهاري رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ثم راجع فكرتك واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ودع عنك التجوز في الرأي ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم ، منصرفاً إلا إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع »(٢) فالحكم باستحسان هذه الأشعار

(١) الأسرار ص٢٦ .
(٢) نفس المرجع ص٢١ ٢٢ .

والثناء عليها لم يكن إلا لوجود استعارة وقعت موقعها أو حسن ترتيب وتنظيم حتى وصل المعنى المراد كاملاً[1] .

ويرى عبدالقاهر أن من الأمور التي تدعو للاهتمام بالشعر : الاستعارة ، فيقول رداً على من ذم الشعر : « فإن زعم أنه إنما كره الوزن ، لأنه سبب لأن يتغنى في الشعر ويتلهى به ، فإنا إذا كنا لم ندعه إلى الشعر من أجل ذلك ، وإنما دعوناه إلى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن والكلام البيّن ، وإلى حسن التمثيل والاستعارة ، وإلى التلويح والإشارة . . »[2] .

لقد أعلى عبدالقاهر من شأنها على بقية ألوان البديع وبيّن قيمتها وفضلها وماتحدثه في الكلام من جمال ، فهي « أمد ميداناً ، وأشد افتناناً ، وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعةً وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً ، نعم وأسحر سحراً ، وأملأ بكل مايملأ صدراً ، ويمتع عقلاً ، ويؤنس نفساً ويوفر أنساً ، وأهدى إلى أن تهدى إليك أبداً عذارى قد تُخُيِّر لها الجمال ، وعُني بها الكمال ، وأن تُخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعاً لايقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لاتتكر ، وردّت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى ، وتريك الحليّ الحقيقيّ ، وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا ، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفي جملة جمالها »[3] .

---

(١) ذكر الشيخ أسراراً أخرى لبلاغة هذه الأبيات ، وقد اكتفيت بالحديث عن الاستعارة لأنها مدار بحثي .

(٢) الدلائل ص٢٤ .　　　(٣) الأسرار ص٤٠ ، ٤١ .

كل ذلك إبراز وبيان لقيمة وفضل الاستعارة ، ثم يوضح مكانتها في الكلام البليغ قائلاً : « وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، ومعها يستحق وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها ، وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادفتها نجوماً هي بدرها ، وروضاً هي زهرها ، وعرائس مالم تعرها حليها فهي عواطل وكواعب مالم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل »[١] .

ولايغيب عن الشيخ بيان فضائلها فهي « تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف منفرد . . . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر . . . فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر أعز منها ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها إلا الظنون . . . »[٢] .

ومن حديث عبدالقاهر عن قيمة الاستعارة وفضائلها تتضح لنا طائفة من الألوان البلاغية مثل :

---

(١) نفس المرجع ص٤١ .

(٢) نفس المرجع ص٤١ .

١ - الإيجاز : وذلك في قوله : « أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ » .

٢ - التشخيص : وذلك في قوله : « فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً » .

٣ - التجسيم : وذلك في قوله : « إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون » .

٤ - تزيين الكلام : وهذه الفائدة تتضح من خلال وصفه للاستعارة حيث يقول : « هي أمد ميداناً وأشد افتناناً وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعةً . . . . »[١] .

٥ - الجِدَّة : وذلك في قوله : « ومن الفضيلة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة ، تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً » .

٦ - إمكان استعمال اللفظة الواحدة لمعاني كثيرة : وذلك في قوله : « وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد »[٢] .

وحديث عبدالقاهر عن قيمة الاستعارة وفضائلها ليس إلا إشارات قليلة إلى جمالها لأن هذا الفضل وذلك الحسن لايظهران إلا بالتوضيح والتفصيل وبيان الأسباب ، لذلك فهو يرى أهمية كبيرة لمعرفة تلك الأسباب ، يقول : « فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت : « هو طويل النجاد » ، « وهو جم الرماد » ، كان أبهى لمعناك ، وأنبل من أن تدع الكناية وتصرح بالذي تريد ، وكذا إذا قلت : « رأيت أسداً » كان لكلامك مزية لاتكون إذا قلت : « رأيت رجلاً هو والأسد سواء » ، في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش وأشباه ذلك . . . فإنما تسكن

---

(١) نفس المرجع ص٤٠ .

(٢) نفس المرجع ص٤١ .

أنفسنا تمام السكون ، إذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ، ولم كان كذلك ، وهيأنا عبارة تفهم عنا من نريد إفهامه »[1] .

أما أسباب حسن الاستعارة فهي :

١ - تأكيد الصفة وثبوتها :

فإذا ماقارنا بين قولنا في الاستعارة « رأيت أسداً » وقولنا في التشبيه « رأيت رجلاً كالأسد » فإننا نجد صفة الشجاعة في قولنا « رأيت أسداً » أثبت وآكد فنحن بهذا الأسلوب ندّعي أننا رأينا أسداً على الحقيقة ، لذلك فإن صفة الشجاعة لابد أن توجد في هذا الأسد ، لأنه من المستحيل أن يكون أسداً ويعرى من هذه الصفة ، أما قولنا « رأيت رجلاً كالأسد » فالمشاهد رجل يشبه الأسد فكونه رجلاً يجعل صفة الشجاعة مترجحة بين الوجود وعدم الوجود »[2] ، لذلك كان أسلوب الاستعارة أقوى من الحقيقة ومن التشبيه الصريح .

٢ - وقوع الاستعارة موقعها المناسب :

دليل ذلك أننا نجد اللفظة تُستعار مرات عديدة ، لكن تتفاوت درجات حسنها ، وإنما يرجع ذلك إلى درجة وقوعها موقعها المناسب ، مثال ذلك لفظة « الجسر » في قول أبي تمام :

لايطمع المرء أن يجتاب لجّته   بالقول مالم يكن جسراً له العمل

وقوله :

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها   تنال إلا على جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسناً لاتراه في الأول ، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرَّقّيّ

---

(١) دلائل الإعجاز ص٧٠ .

(٢) انظر الدلائل ص٧٣ .

قولي نعم ، ونعم إن قلت واجبة　　　قالت عسى ، وعسى جسر إلى نعم

فترى لها لطفاً وخلابةً وحسناً ليس الفضل فيه بقليل »[١] .

ومانلحظه هنا هو أن عبدالقاهر قد خلط بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، فالمعنى في بيت أبي تمام على تشبيه العمل بالجسر ، فالعمل اسم لكان والجسر خبرها ، وكذلك قول ربيعة الرقيّ على تشبيه عسى بالجسر فهذا الكلام تشبيه ولكن لعل عبدالقاهر وضعه في باب الاستعارة انطلاقاً من بعض رأيه في التشبيه البليغ ، فهو يرى - كما سنعرف - أن المشبه به إذا كان نكرة خرج عن أن يحسن إدخال كل حروف التشبيه عليه ، فلو أردت أن تقول في مثل قولك « هو بحر » بأنه استعارة « كنت أعذر وأشبه بأن تكون على جانب من القياس ومتشبثاً بطرف من الصواب »[٢] .

٣ - إخفاء التشبيه :

كلما كان التشبيه أكثر إخفاءً ازداد حسن الاستعارة ، مثال ذلك قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته　　　لجناة الحسن عنابا

فإذا أردنا إظهار التشبيه في مثل هذا البيت ، احتجنا إلى زيادة في الشرح وتغيير في النظم فنقول كما قال عبدالقاهر : « أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن ، شبيه العناب من أطرافها المخضوبة »[٣] والذي لا نشك فيه هو الفرق الكبير بين الصياغتين في الأسلوب ، فقول ابن المعتز فيه

---

(١) نفس المرجع ص٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الأسرار ص٣٠٤ .

(٣) الدلائل ص٤٥١ .

مافيه من الإيجاز الذي ترتاح له النفـوس ، كما أن عدم التصريـح بالتشبيه أدى إلى جمال في إخراج الصورة ، فماهو موجود في راحة الممدوح أغصان وليس أصابع والأغصان من طبيعتها الإثمار فهي أقوى على التصوير وأداء المعنى . وكان الثمر هو العناب ، فالعدول عن التشبيه إلى الاستعارة وإخفاء التشبيه بهذه الصورة أحدث ما أحدث من جمال في الصياغة والمعنى .

ويتضح فضل إخفاء التشبيه جلياً إذا مانظرنا إلى كلمة « العناب » نفسها في بيت آخر .

فأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردأ ، وعضت على العناب بالبرد

فلو أردنا إظهار التشبيه هنا لجاء ذلك سهلاً لاقبح فيه ولا غثاثة كتلك التي وجدت في المثال السابق فنقول : « وعضت على أطراف أصابع كالعناب بثغر كالبرد »[(١)] وهـذا - كما يقول الشيخ - « شيء يتكلم بمثله وإن كان مرذولاً »[(٢)] .

وكلمة « العناب » في هذين البيتين تدل على أن الاستعارة تحسن إذا وقعت موقعها وأصابت غرضها .

٤ - الجمع بين عدة استعارات :

تبلغ الاستعارة غاية شرفها وفخامتها إذا جمع الشاعر بين عدة استعارات في بيت واحد قاصداً إظهار الصورة متكاملة شكلاً ومعنى .

مثال ذلك قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلـي
فقلت له لما تمطى بصلبـه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

---

(١) نفس المرجع ص٤٥١ .

(٢) نفس المرجع ص٤٥١ .

يقول بأن ليله كموج البحر في كثافة ظلمته وقد أرخى عليه أستاره بأنواع الهموم ليرى ماعنده من الصبر والجزع ، وقد أراد الشاعر أن يبين المدة التي قضاها على هذه الحالة فوصف ليله بالطول وذلك عن طريق الاستعارة فجعل لليل صلباً وقد تمطى به ثم ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى مايراه الناظر في سواده ، إذا نظر قدامه ، وإذا نظر إلى خلفه ، وإذا رفع بصره ومده في عرض الجو[١] .

وعبدالقاهر في هذا يتفق مع الآمدي في الحكم بأن هذا البيت من الاستعارات التي بلغت غايتها في الحسن والجودة . ويختلف مع قدامة بن جعفر ، إذ إن قدامة يعد هذا البيت من المعاظلة ، يقول : « وقد استعمل كثير الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذ كان مخرجها مخرج التشبيه . فمن ذلك قول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لا أن له صلباً ، وهذا مخرج لفظه إذا تُؤمل »[٢] . ويعلق محقق الكتاب - الدكتور خفاجي - على ذلك قائلاً : « يعيب قدامة هذا البيت ، وهو في عرف جميع النقّاد من أروع الصور الشعرية »[٣] . وقول الدكتور خفاجي : « وهو في عرف جميع النقاد . . .» تعميم مبالغ فيه ، فابن سنان يجعل من البعيد المطرح ماكانت الاستعارة فيه مبنية على استعارة - هذا عند حديثه عن ضربي الاستعارة -

---

(١) انظر الدلائل ص٧٩ .

(٢) نقد الشعر ص١٧٥ .

(٣) نفس المرجع ص١٧٥ .

أما عند ذكره لهذا البيت فيوضح أنه ليس من جيدها ولا رديئها بل هو من الوسط[١] .

٥ - جمال النظم :

وعلى الرغم من أن عبدالقاهر يرجع الفصاحة إلى الاستعارة ، فهو يؤكد على أن جمال الاستعارة يرجع إلى النظم ، فإذا حسنت الصياغة اكتمل حسن الاستعارة لأنها بذلك تكون قد وقعت موقعها وأصابت غرضها ، ويخطىء من ينسب المزية إلى اللفظ ، يقول : « واعلم أن هذا - أعني الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ ، وبين أن تكون في النظم - باب يكثر فيه الغلط ، فلا تزال ترى مستحسناً قد أخطأ بالاستحسان موضعه ، فينحل اللفظ ماليس له ، ولاتزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسّن من لفظه ونظمه ، فظننت أن حسنه ذلك كلّه للفظ منه دون النظم »[٢] .

ويثبت هذه الفكرة بأمثلة عديدة كقول سبيع بن الخطيم التيمي :

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا　　　أنصاره بوجوه كالدنانيـــر

« فإنك ترى هذه الاستعارة ، على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى ، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وإن شككت فاعمد إلى الجارّين والظرف ، فأزل كلاً منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال ، وكيف يذهب الحسن والحلاوة ؟ وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها ؟ »[٣] .

---

(١) سر الفصاحة ص١١٠ - ١١٢ .

(٢) الدلائل ص٩٨ .　　(٣) نفس المرجع ص٩٩ .

فسبب حسن الاستعارة هنا لم يكن لأنها وقعت موقعها المناسب في النظم فحسب بل لأنه أيضاً قد قدم الجار والمجرور « عليه » ليفيدنا تأكيد تدفق أهل الحي وعظيم مكانته عندهم ، وكلمة الشعاب تدل على الكثرة ، فكل من وُجد في الحي بجميع شعابه قد أقبل على الممدوح مسرعاً طلق المحيا تأكيداً للمكانة العالية التي يحظى بها الممدوح ، فهو مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لايدعوهم لحرب أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذلك ، وحتى يغص بها الوادي ويطفح منها[1] .

٦ - أن ينضم إلى الاستعارة تجوز آخر :

كقول الشاعر :

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجة ... ومسّح بالأركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهارى رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

« أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها سيول وقعت في تلك الأباطح فجرت بها »[2] .

وقد عرض هذه الأبيات في الأسرار فشرحها شرحاً مفصلاً مبيّناً موضع الاستعارة وفضلها وأهمية النظم ودوره في الأبيات ، فالشاعر يعبر عن قضاء مناسك الحج كاملة من أركان وفروض وسنن إلى طواف الوداع الذي يعطي رخصة المسير فتزم الركاب ويركب الركبان ، ومن ثم يكون تبادل الأحاديث الطريفة التي تخبر عن خبايا نفوس طيبة قد أدت مناسك الحج ورجت حسن

---

(١) نفس المرجع ص٧٥ .

(٢) نفس المرجع ص٧٤ .

الإياب ، ثم يقول الإمام : « . . . ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه . فصرح أولاً بما أومأ إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفي حال التوجه إلى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ، ووطاءة الظهر ، إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح وكان في ذلك ما يؤكّد ماقبله لأن الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً . ثم قال « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هواديها وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبّر عن المرح والنشاط إذا كانا في أنفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليها بشمائل مخصومة في المقاديم . . . »[١] .

وبعد هذا الشرح المفصل يسأل عبدالقاهر سؤالاً تقريرياً مؤكّداً على صحّة فكرته ، فيقول : « فقل الآن هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى إن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ولو ذكرت على الانفراد وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه »[٢] .

٧ - ومما ينبغي ألا يفوتنا ذكره أن أسباب حسن الاستعارة : الغـــرابة : فمن الاستعارة ماهـو عاميّ مبتذل شاع استعماله بين العامة كقولنا : « رأيت أسداً » و « لقيت بدراً » ، ومن الاستعارة ، ماهو خاصيّ نادر غريب لانجده إلا في كلام البلغاء ، والثاني هو مدار حديثنا ، فقد تحصل هذه الغرابة بتصرف في العاميّة ، كما في قول الشاعر :

---

(١) الأسرار ص٢٣ . (٢) نفس المرجع ص٢٣ .

وسالت بأعناق المطي الأباطـح

أي إن هذه الإبل سارت سيراً سهلاً سريعاً سلساً وقد ملأت المكان حتى كأنها سيول تجري في تلك الأباطح ، وتظهر غرابة الاستعارة هنا في أن الشاعر أصحبها مجازاً عقلياً لأنه أسند السيلان للأباطح ليدل على العموم والشمول ، وأن الأباطح قد امتلأت بالمطي ، فارتقت هذه الاستعارة من القرب إلى البعد .

ومما يجدر ذكره أن النقاد والعلماء قبل عبدالقاهر اختلف نظرهم إليها :

(١) فمنهم من قصر الجمال على ألفاظها وحسن مخارجها ومطالعها ومقاطعها كابن قتيبة الذي ذكرها في ضرب من الشعر إذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى[١] ، وتبعه في ذلك ابن طباطبا الذي اكتفى بأن زاد قائلاً : « فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر »[٢] .

(٢) ومنهم من جعله في معانيها ولكن ذهب بها مذهباً بعيداً كابن جنى الذي ألمح إلى مافيها من الغزل[٣] .

أما عبدالقاهر فقد أكد على أن الفضل راجع إلى المعاني ، ومن تلك المعاني : الاستعارة .

وبالعودة إلى أسباب حسن الاستعارة نصل إلى الغرابة من الأمور التي تزيد الاستعارة حسناً وجمالاً ، ونجد عبدالقاهر يؤكد على هذه الفكرة بذكر استعارة أخرى ، جهة الغرابة فيها غير جهتها في الاستعارتين السابقتين وذلك « قول يزيد بن مسلمة بن عبدالملك يصف فرساً له ، وأنه مؤدب ،

---

(١) انظر الشعر والشعراء ج١ ص٦٦ ، ٦٧ .

(٢) انظر عيار الشعر ص٨٧ ، ٨٨ .

(٣) انظر الخصائص ج١ ص٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وأنـه إذا نـزل عنه وألقى عنانه في قربوس سرجه ، وقف مكانه إلى أن يعود إليـه :

عودته فيما أزور حبائبي ... إهماله ، وكذاك كل مخاطـــر

وإذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك الشكيم إلى انصراف الزائر

فالغرابة ههنا في الشبه نفسه ، وفي أن استدرك أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج ، كالهيئة في موضع الثوب من ركبة المحتبي »[١] ، أي عودت ذلك الفرس الإهمال والترك عند زيـارة الأحبـة وعند فعل كل أمر خطير مهم ، أي شبهت الهيئة الحاصلة من وقوع العنان في موضعه من قربوس السرج بالهيئة الحاصلة من وقوع الثوب في موضعه من رَكبتي المحتبي ووجه الشبه هو هيئة إحاطة شيء لشيئين ضاماً أحدهما إلى الآخر على أحدهما أعلى والآخر أسفل واستعير الاحتباء وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه لإلقاء العنان ووقوعه في قربوس السرج لأجل ضم رأس الفرس إلى جهته واشتق من الاحتبـاء : احتبى بمعنى وقع على طـريق الاستعـارة التصريحية التبعية[٢] .

ولاتقتصر الغرابة على هذه الأنواع بل قد يتناسى الشاعر الاستعارة ، فيؤدي ذلك إلى الغرابة ، وتأتي الصياغة مقرونة بالتعجّب أو بالنّهي عنه ، ومنه قول الشاعـر :

قامت تظللني من الشمس ... نفس أعز عليّ من نفســي

قامت تظللني ومن عجـب ... شمس تظللني من الشمس

---

(١) الدلائل ص٧٥ .

(٢) حاشية الدسوقي - شروح التلخيص ج٤ ، ص٨٧ .

« لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمساً لما كان لهذا التعجب معنى ، إذ لاتعجب في أن إنساناً حسناً يظلل إنساناً آخر »[١] .

فتعجب الشاعر هنا يدل على أنه نسي أنه استعار الشمس لهذا الإنسان الذي يظلله .

وكذا قول البحتــري :

طلعت لهم وقت الشروق فعاينوا سنـا الشمس من أفق ووجهك من أفق

وماعاينوا شمسين قبلهما التقى ضياؤهما وفقاً من الغرب والشـــرق

ووجه الغرابة هنا في إظهار شمسين من المشرق والمغرب في آن واحد .

وكذا قول المتنبي :

كبّرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وجه الغرابة فيه من تعجب المتنبي « من قدرة الله حين أطلع شموساً لا من المشرق ، وكانت منازل المدوحين في جهة الغرب »[٢] .

وقوله أيضاً :

ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقـه الأسد

فالعجب هنا من « أن يمشي البدر إلى آدمي وتعانق الأسد رجلاً »[٣] .

وهناك جهة أخرى من الغرابة وهي : عكس مذهب التعجب ، وذلك أن يثبت خاصية من خواص المشبه به للمشبه عن طريق إيهام أن التشبيه قد خرج من البين : مثالـه :

لاتعجبوا من بلى غلالتـه قد زرّ أزراره علـى القمـر

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - العباسي ج٢ ، ص١١٤ .

(٢) شرح ديوان المتنبي - وضعه : عبدالرحمن البرقوقي ج٣ ، ص٧٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص٢٨٢ .

فهو « لو لم يجعله قمراً حقيقياً ماكان للنهي عن التعجب معنى ، لأن الكتّان إنما يُسرع إليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقي ، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً . . . وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله[1] ، فللبناء على تناسي التشبيه ، قضاءً لحق المبالغة ، ودلالة على أن المشبه بحيث لايتميز عن المشبه به أصلاً ، حتى إن كل مايترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً »[2] .

٨ - الترشيـــح :

يقوم تناسي التشبيه في الاستعارة على الترشيح، ومن شواهده قول أبي تمام :

فمازال يقرع تلك العـــلا … مع النجم مرتدياً بالعمـاء

ويصعد حتى يظن الجهـول … بأن له حاجة في السمـــاء

فقد استعار الصعود - الصفة المحسوسة لعلو المكان - لعلو القدر ، ثم جاء بصفة تؤكد « علو المكان » وهي الارتقاء إلى السماء ، وكأن هذا الصعود قد كان على حقيقته ولم يكن من باب التشبيه . ومنه قول ابن الرومي :

ياآل نوبخت لا عدمتكـــــمُ … ولاتبدلت بعدكم بـــــدلا

إن صح علم النجوم كان لكم … حقاً إذا ما سواكم انتحلا

كم عالم فيكم وليـــــس بأن … قاس ولكن بأن رقى فعلا

أعلاكم في السماء مجدُكـــم … فلستم تجهلون ماجُهـــلا

شافتهم البدر بالسؤال عن الـ … أمر إلى أن بلغتم زحـــلا

---

(١) البيت الذي قبله :

ياليت حظي كحظ ثوبك من … جسمك ياواحدا من البشر

(٢) معاهد التنصيص - العباسي ج٢ ص١٢٩ .

استعار العلو في السماء لعلو قدر ممدوحيه ، ثم جاء بما يؤكد هذا العلو والارتفاع ، وهو حديثهم مع البدر واستفسارهم عما يجهله غيرهم وذلك لقربهم من البدر في المكان .

***

الفصل الخامس

الاستعارة ومقتضيات النظم
مع بيان أثرها في الدرس اللغوي

الاستعارة ومقتضيات النظم
مع بيان أثرها في الدرس اللغوي

النظم لغة : التأليف ، نظّمه ينظمه نظماً ونظاماً ، ونظمه فانتظم وتنظّم . . ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله ، ومنه نظَمت الشعر ونظمته ، ونظم الأمر على المثل . وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض ، فقد نظمته . والنظم : المنظوم ، وصف بالمصدر ، والنظم : مانظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما ، واحدته نظمة ، ونظم الحنظل : حبُّه في صيصانه »[(١)] .

(**والنظم**) نظمك الخرز وغيره ، نظم ينظم نظماً ونظاماً ونظم تنظيماً ، والنظام كل شيء منظوم . والنظم كواكب في السماء تسمى النظم وهي من نجوم الجوزاء ، ويقال انتظمت الصيد إذا طعنته أو رميته حتى تنفذه ، وقال بعضهم : « لايقال : انتظمته حتى تجمع بين رميتين بسهم أو برمح »[(٢)] .

هذا هو المعنى اللغوي ، ومما لاشك فيه أن المعنى الاصطلاحي يشترك مع المعنى اللغوي في معنى عام وهو الجمع والضم ، فإذا كان النظم في اللغة قرن الشيء بالشيء وضم بعضه إلى بعض ، فإنه في الاصطلاح يكون : ضم الكلمات بعضها إلى بعض للتعبير عن معنى من المعاني تعبيراً صحيحاً ، وهذا ماقرره عبدالقاهر إذ يقول : « واعلم أن ليس « النظم » إلا « أن »* تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه « علم النحو » ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها »[(٣)] .

---

(١) اللسان ج١٢ ، ص٥٧٨ .
(٢) جمهرة اللغة ج٣ ص١٢٥ .
(٣) دلائل الإعجاز ص٨١ .

* غير موجوده في الدلائل في النسخة : تحقيق محمود شاكر وموجودة في نسخ أخرىٰ .

فالجمع بين كلمة وأختها يجب أن يراعى فيه قوانين علم النحو : مبتدأ وخبر ، فعل وفاعل ومفعول ، حال وصفة - بما تشير إليه من معاني تختلف باختلاف مواقع هذه الكلمات - وإلا لما كان للكلام معنى ، وإن لم يكن له معنى فلا يُعد نظماً .

فعمل الناظم هو النظر في أبواب النحو ومعرفة الفروق الدقيقة بين باب وآخر « فينظر في الخبر » إلى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » و « زيد ينطلق » ، و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد » ، و « زيد المنطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو المنطلق » و « زيد هو منطلق » . وفي « الشرط والجزاء » إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج أخرج » و « إن خرجت خرجت » و « إن تخرج فأنا خارج » و « أنا خارج إن خرجت » و « أنا إن خرجت خارج » . وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعاً » و « جاءني يسرع » . . . فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له »[١] .

إن الأساس الذي تبنى عليه فكرة النظم عند عبدالقاهر هو توخي معاني النحو في الكلام ، فإذا ماحدث خطأ في النظم فإنما يكون راجعاً إلى معنى من معاني النحو ، والصواب كذلك . يقول عبدالقاهر : « فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ، وخطؤه إن كان خطأً إلى « النظم » ، ويدخل تحت هذا الإسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ماينبغي له ، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية

---

(١) نفس المرجع ص٨١ ، ٨٢ .

وذلك الفضل ، إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه »[١] .

فالارتباط وثيق بين النحو والنظم ، والنظم يختلف في بلاغته من قائل لآخر وذلك تبعاً للطريقة المتبعة في ترتيب الكلمات ، وعلى حسب ترتيب المعاني في النفس ، فقد تحكم بالجودة لنص على آخر وإن اتفقا في المعنى .

والاستعارة والكناية والتمثيل من مقتضيات النظم عند الشيخ حيث يقول : « فإن قيل : قولك « إلا النظم » يقتضي إخراج مافي القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ماهو به معجز ، وذلك مالا مساغ له . قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز . وذلك لأن هذه المعاني - التي هي « الاستعارة » و « الكناية » و « التمثيل » ، وسائر ضروب « المجاز » من بعدها - من مقتضيات « النظم » ، وعنه يحدث وبه يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو . فلا يتصور أن يكون ههنا« فعل » أو « اسم » قد دخلته الاستعارة ، من دون أن يكون قد أُلِّف مع غيره . أفلا ترى أنه إن قُدِّر في « اشتعل » من قوله تعالىٰ : ﴿ **واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبَاً** ﴾ أن لايكون « الرأس » ، فاعلاً له ، ويكون « شيباً » منصوباً عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون مستعاراً ؟ وهكذا السبيل في نظائر « الاستعارة » فاعرف ذلك »[٢] .

فالاستعارة من مقتضيات النظم ، وليست كما قرر صاحب الصورة البلاغية قائلاً : « إن العمد التي يقوم عليها النظم ، وبها تتم الصياغة في الجمل ، كي تجلو الصورة الأدبية وتكشف عنها هي : الاستعارة والتشبيه والكناية والمحسنات

---

(١) نفس المرجع ص٨٢ ، ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ص٣٩٣ .

المعنوية واللفظية الجارية مع السياق وغير النابية عنه . . . فالاستعارة مثلاً وهي من العمد الأساسية التي يقوم النظم عليها ، ويكون بها هي من صفة اللفظ في الظاهر ، ولكن المقصود بها إلى المعنى »[1] .

فإذا نظرنا إلى الاستعارة على أنها نقل للفظ من معنى إلى معنى ، اتضح لنا أن هذا النقــل ليس من بنيــة الكلام ، ولكن لما كان معنى هذا النقل لايتحقق إلا إذا وضعنــا اللفــظ في جملــة كانت صلــة الاستعارة بالنظم قوية لأنها لاتتحقق بدونــه فهي ليست جزءاً من الكلام باعتبار معناها ، ومحتاجة إلى الكلام ليتحقق هذا المعنى .

والنظم يمكن أن يكــون دون وجــود الاستعــارة لأنــه إسناد فعل إلى فاعل أو خبر إلى مبتدأ ، أما الاستعـارة والكنايــة والتمثيــل وسائر ضروب المجاز فلا يمكن أن تتحقــق إلا إذا جــاءت في بنــاء ، فهــي معــان زائــدة لاتدخل في البنية لكنها تضفــي على الكلام حسناً وجمالا . يقول عبدالقاهر : « وإذ قد عرفت ذلك ، فاعمــد إلى ما تواصفوه بالحسن ، وتشاهدوا له بالفضــل ، ثم جعلــوه كذلك من أجل « النظـم » خصوصاً ، دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر ، من معنى لطيــف أو حكـمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لايدخل في النظم . . . »[2] فهذا يعني أن النظم يحصل دون وجود الاستعـارة .

ويقــول في موضع آخـر : « ونعود إلى النسق فنقول : « فإذا بطل أن يكون الوصف الــذي أعجزهـم من القـرآن في شيء ممــا عددنــاه ، لم يبق إلا أن يكون في

---

(١) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً - د. أحمد دهمان : ج١ ص٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٢) الدلائل ص٨٤ ، ٨٥ .

« النظم » ، لأنـه ليـس - من بعـد ما أبطلنا أن يكون فيه - إلا « النظم » و « الاستعارة »[١] .

والعطف يعني أن المعطوف شيء والمعطوف عليه شيء آخر ، وعليه فإن الاستعارة غير النظم ، فالشيء يكون من الشيء ليس هو ، لكنها من الأمور التي يطلبها النظم ليكتمل له الجمال .

وإذا كان « جوهر النظم » عن عبدالقاهر هو : « أن تصاغ العبارة بطريقة تفصح تماماً عما في نفس قائلها ، وتكشف عما يريد إيصاله إلى مخاطبه ، ولايتم ذلك إلا إذا كانت عبارته صورة للمعنى القائم في نفسه . فالمتكلم في صياغته للعبارة إنما يقتفي أثر المعنى في نفسه ، ويرتب عبارته حسب ترتيب المعنى فيها »[٢] .

فالنظم إذن فيه « جهد يبذله البليغ ، يتمثل في الاختيار والترتيب ، حتى تصبح العبارة صورة لما في نفسه . ولما كان لكل إنسان شعوره المتميز بالأشياء ، وإدراكه الخاص للمعاني ، كان تعبير كل واحد صورة لشعوره الخاص ، وإدراكه المتميز . والفنان أدق شعوراً بالأشياء ، وأعمق إدراكاً للمعاني ، وأشد إحساساً بالخواطر العميقة المتشعبة حول مايسمـع ومايرى ، وأقوى إدراكاً للصلات البعيدة بين الأشياء ، ومن هنا يأتي كلامه معبراً عن ذلك كله ، وصورة صادقة له ، فكلما قويت ملكة البليغ ، ودق حسّه ، ونما ذوقه ، كلما* أخرج لنا كلاماً له في مقام التفضيل مكانةً ومقداراً »[٣] . ومن الأمور التي تساعد على إخراج كلام له في مقام التفضيل مكانة ومقدار : المجـاز . يقـول صاحب دلالـة الألفـاظ : « وهنـــاك

---

(١) نفس المرجع ص٣٩١ . (٢) الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره- د . عبدالغني بركة ص١٩٠ .

* لايجوز إعادة « كلما » في الجواب لأنها ذاتها تفيد التكرار ، والصواب : فكلما قويت ملكة . . . أخرج لنا كلاماً . . .

(٣) نفس المرجع - د . عبدالغني بركه ص١٩٧ .

نوع آخر من « المجاز » يتميز بالطرافة ، ويصادف من جمهور الناس الإعجاب ، وينظر إليه على أنه نوع من الابتكار والاختراع ، وذلك هو ماتتفتق عنه قرائح الأدباء والشعراء والصفوة من أصحاب البلاغة واللسن ، حين يعمدون إلى الألفاظ فينحرفون بها عن عمد وقصد إلى مجال آخر ، وتلك هي الصفة التي يتنافس فيها أصحاب الشعر والأدباء ، وتقاس بها مهارتهم وقدرتهم »[1] .

فاللغـة إذن تتطـور ومن أسباب تطورها المجاز ، والمجاز ذو أثر كبير في نمو اللغـة إذ إنـه « يمثل مدرجاً من مدارج اللغة ونقلة في حياتها وهو الذي قد يـؤدي إلى غموض المعنى أو دقته ، وهو وسيلة اللغة في هذا التغيير لافرق بين مشرع يعنى بالحقائق ويعكف موائماً بينها وبين واقع الحياة وبين أديب يصطنع الخلق الأدبي اصطناعاً يتم له به التصرف في اللغة في أوسع نطاق ثمرةَ عمليةٍ نسجٍ مستمرةٍ دائمةِ التجددِ والتغيرِ بما هو تطبيق لأصل ومبدأ وبما هو أثر في الدرس اللغوي »[2] .

مناصرة النظم للاستعارة :

(١) إذا كانت المعاني الأدبية والحكمية والاستعارة لها حسن ، فإن ذلك لايعني أنها الأصل في المزية ، فالأصل في المزية إنما يعود إلى النظم .

وإن أردنا إثبات ذلك فلننظر إلى قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ نبا دهر ، وأنكر صاحب   وسلط أعداء ، وغاب نصير
تكون عن الأهواز داري بنجـوة   ولكن مقادير جرت وأمـور
وإني لأرجو بعد هذا محمـداً   لأفضل مايُرجى أخ ووزيـر

---

(١) دلالة الألفاظ - د . إبراهيم أنيس ص١٣١ .

(٢) المجاز وأثره في الدرس اللغوي - د . محمد بدري عبدالجليل ص١٤١ .

يعلق عبدالقاهر على الأبيات قائلاً : « فإنك ترى ماترى من الرونق والطلاوة ، ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد السبب في ذلك ، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو « إذ نبا » على عامله الذي هو « تكون » ، وأن لم يقل : فلو تكون عن الأهواز داری بنجوة إذ نبا دهر ، ثم أن قال : « تكون » ، ولم يقل « كان » ، ثم أن نكّر الدهر ولم يقل : « فلو إذ نبا الدهر » ، ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال : « وأنكر صاحب » ولم يقل : « وأنكرت صاحباً » لاترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عددته لك تجعله حسناً في النظم ، وكله من معاني النحو كما ترى . وهكذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم »[١] .

من خلال هذا التعليق يثبت لنا الشيخ أن الطريقة التي استخدمها الشاعر في النظم هي السبب في ظهور شعره بهذا المستوى الجيد .

(٢) كثير من الاستعارات يروق ويعجب ، ولكن الفضيلة العالية تنشأ عن طريقة نظم الكلام الذي فيه الاستعارة ، يظهر لنا ذلك في مثل قوله تعالىٰ : ﴿ **واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً** ﴾[٢] ، فإن الإعجاب به ليس لمجرد استعارة الاشتعال للانتشار بل « لأن سلك بالكلام طريق ما يُسند الفعل فيه إلى الشيء »[٣] وقد أسند الاشتعال إلى الرأس - مع أنه للشيب في المعنى - ليفيد مع اللمعان الشمول وأنه لم يبق من السواد شيء .

---

(١) الدلائل ص٨٦ .

(٢) سورة مريم ، آية ٤ .

(٣) الدلائل ص١٠٠ .

وكذا قوله تعالىٰ : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾[1]

ومن الشعر قول بعض الأعراب :

الليل داج كنفا جلبابه　　　والبين محجور على غرابه

يقول عبدالقاهر : « ليس كل ماترى من الملاحة لأن جعل للّيل جلباباً . وحجر على الغراب ، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى ، فجعل « الليل » مبتدأ ، وجعل « داج » خبراً له وفعلاً لما بعده وهو « الكنفان » ، وأضاف « الجلباب » إلى ضمير « الليل » ، ولأن جعل كذلك « البين » مبتدأ ، وأجرى « محجوراً » خبراً عنه ، وأن أخرج اللفظ على « مفعول » . يبين ذلك أنك لو قلت : « وغراب البين محجور عليه » أو « قد حجر على غراب البين » لم تجد له هذه الملاحة . وكذلك لو قلت : « قد دجا كنفا جلباب الليل » ، لم يكن شيئاً »[2] .

فالطريقة التي يُنظم بها الكلام تزيد من قدره وترفع من شأنه .

(٣) قد تكون الاستعارة مبتذلة معروفة ولكن النظم يرفع من قدرها ، فاستعارة التقييد للبقاء في مكان ما مبتذلة يعرفها العامة ، ولكن المتنبي يعلي من شأنها ويجعل لها مزية خاصة عندما يقول :

وقيدت نفسي في ذراك محبة　　　ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

---

(١) سورة القمر ، آية «١٢» . ليس في الآية استعارة ولكن عبدالقاهر ذكرها لإفادة الشمول .

(٢) الدلائل ص١٠٢ ، ١٠٣ .

الفصل السادس «أ»

الاستعارة بين المعنى التخييلي والمعنى العقلي

رؤية عبدالقاهر للاستعارة

بين المعنى الفني (التخييلي) والمعنى المنطقي (العقلي)

لقد اعتاد القارىء لكتب عبدالقاهر أن يجد تمهيداً لكل موضوع ، وحديثه هنا عن المعاني ليس إلا تمهيداً للحكم على السرقات الشعرية . يقول : « اعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق ، واقتدى بمن تقدم وسبق ، لايخلو من أن يكون في المعنى صريحاً أو في صيغة تتعلق بالعبارة ، ويجب أن نتكلم أولاً على المعاني »[١] .

ثم قسّم المعاني قسمين : عقلياً وتخييلياً .

١ - **القسم العقلي :**

« فالذي هو العقلي على أنواع : أولها عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة ، والبيان والخطابة ، مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء ، والفوائد التي تثيرها الحكماء ، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم ومنقولاً من آثار السلف الذين شأنهم الصدق ، وقصدهم الحق . . . »[٢] .

فالعقلي ماشهد له العقل بالصحة ، وقد ذكر الشيخ أنه على أنواع ولم يورد إلا نوعاً واحداً .

ومن أمثلة هذا القسم قول الشاعر :

ومالحسب الموروث لادرّ درّه   بمحتسب إلا بآخر مكتسب

---

(١) الأسرار ص٢٤١ .

(٢) نفس المرجع ص٢٤١ .

ومن القرآن الكريم قوله تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[1] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » وقوله عليه السلام : « **يابني هاشم لاتجئني الناس بالأعمال وتجيئوني بالأنساب** » .

والذي لاخلاف فيه أن جميع هذه المعاني من حيث العقل صحيحة .

٢ - **القسم التخييلي :**

« هو الذي لايمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي » فمن جهة العقل والمنطق لايمكن أن نقضي بصحته وصدقه ، وهذا يعني أن التخييل هنا مقابل للحقيقة ، ثم يبين أنه « مفتن المذاهب ، كثير المسالك ، لايكاد يحصر إلا تقريباً ، ولايحاط به تقسيماً وتبويباً ، ثم إنه يجيء طبقات . ويأتي على درجات ، فمنه مايجيء مصنوعاً قد تُلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق ، حتى أُعطي شبهاً من الحق ، وغُشّي رونقاً من الصدق ، باحتجاج تُمُحّل ، وقياس تُصُنع فيه وتُعُمل »[2] .

وقد مثّل لهذا بقول أبي تمام :

لاتنكري عطل الكريم من الغنى　　　فالسيل حرب للمكان العالي

القضية هنا هي خلو يد الكريم من الأموال ، والشاعر ينهى عن التعجب من ذلك بالنهي عن إنكاره ، ويوضح السبب فيقول بأن الماء الكثير لايستقر على الأماكن الشاهقة الارتفاع . ومثل الأموال في يد الكريم مثل الماء الكثير على المكان المرتفع . والجمع بين هذين المعنيين لايكون إلا عن طريق التخييل ،

---

(١) سورة الحجرات ، آية <١٣> .

(٢) الأسرار ص٢٤٥ .

لأن الماء شيء سيّال وبقاؤه على المكان المرتفع يستدعي وجود الحواجز التي تمنع سيلانه ، وهذا مالا يشترط وجوده في بقاء المال في يد الكريم .

ومما يُعتقد فيه الصدق بدرجة أكبر وهو على سبيل التخييل قول ابن المعتز :

والشيب كره وكره أن يفارقني ... أعجب بشيء على البغضاء مودود

فكما هو معروف أن الإنسان مبغض للشيب لايريده ، حتى إذا ما أدركه الشيب أصبح محباً له كارهاً فراقه ، وهذه المحبة لاتكون إلا عن طريق التخييل ، فالإنسان يعلم أن زوال الشيب يعني زوال حياته وهو محب للبقاء في هذه الدنيا فطبعيّ أن يحب الشيب ويتمسك به لحبه للحياة .

ومن ثم يصل عبدالقاهر إلى الادلاء برأيه في قول القائل : « خير الشعر أكذبه » و « خير الشعر أصدقه » .

ولكنه قبل أن يوضح المقصود من هاتين المقولتين ، يبدأ ببيان موضوع الشعر والخطابة قائلاً : « وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علة لحكم يريدونه وإن لم يكن كذلك في المعقول ومقتضيات العقول ، ولايؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ماجعله أصلاً وعلة كما ادعاه فيما يبرم أو ينقض من قضيته ، وأن يأتي على ماصيّره قاعدة وأساساً ببيّنة عقلية بل تُسلَّم مقدمته التي اعتمدها بلا بيّنة كتسليمنا أن عائب الشيب لم ينكر منه إلا لونه وتناسينا سائر المعاني التي لها كره ومن أجلها عيب »(١) .

وعلى ذلك لايجب على الشاعر أن يصدق فيما يقول من الناحية العقلية ، وقد ضجر البحتري ممن طلب الصدق في الشعر فقال :

كلفتمونا حدود منطقكـــم ... في الشعر يُغنى عن صدقه كذبه

---

(١) نفس المرجع ص٢٤٨ .

أي إن الشعراء لايطالبون بإجراء الشعر على حدود المنطق وعدم ادعاء إلا مايقوم على العقل ، وهذا تشديد على الشعراء ، إذ إن الشاعر إذا ماجنح إلى الكذب فالذي لاشك فيه أنه لايريد إعطاء الموصوف صفات هو على نقيضها ، لأن مثل هذا يظهر بالرجوع إلى حال المذكور والتحقق من هذه الصفات ، فلا يحتاج الأمر إلى الحجج المنطقية ولا إلى القوانين العقلية[1] .

ثم يتابع حديثه موضحاً قول من قال : « خير الشعر أكذبه » فيقول : « وكذلك قول من قال : « خير الشعر أكذبه » فهذا مراده لأن الشعر لايكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً بأن ينحل الوضيع صفة من الرفعة هو عنها عار ، أو يصف الشريف بنقص وعار ، فكم جواد بخّله الشعر وبخيل سخاه وشجاع وسمه بالجبن وجبان ساوى به الليث ودنّي أوطأه قمة العيوق وغبي قضى له بالفهم ، وطائش ادعى له طبيعة الحكم ، ثم لم يعتبر ذلك في الشعر نفسه حيث تنتقد دنانير وتنشر ديابيجه ويفتّق مسكه فيضوع أريجه »[2] .

فمن سلك هذا المسلك . مثل إثبات صفة الرفعة لمن هو عار منها . أو العكس ، فإن ذلك لايكسب الشعر فضلاً أو نقصاً .

ثم ينتقل إلى القول المناقض فيقول : « وأما من قال في معارضة هذا القول « خير الشعر أصدقه » كما قال :

وإن أحسن بيت أنت قائله　　　بيت يقال إذا أنشدته صدقا

فقد يجوز أن يراد به خير الشعر مادل على حكمة يقبلها العقل ، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة تروّض جماح الهوى ، وتبعث على التقوى ، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد يُنحى بها

---

(١) نفس المرجع ص٢٤٩ بتصرف .

(٢) نفس المرجع ص٢٤٩ .

نحو الصّدق في مدح الرجال ، كما قيل : كان زهير لايمدح الرجل إلا بما فيه والأول أولى لأنهما قولان يتعارضان في اختيار نوعي الشعر »[1] .

ثم يوضح غرض من قال « خير الشعر أصدقه » بأنه يميل إلى ترك الإغراق والمبالغة على مايجري من العقل على أصل صحيح لأن أثره أحلى وأبقى ، أما من رأى بأن خير الشعر أكذبه فهو يجد فيه الإبداع والزيادة واختراع الصور .

وعبدالقاهر يميل إلى الضرب الأول فيقول : « والعقل بعد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه ، وتفخيم قدره وتعظيمه ، وماكان العقل ناصره والتحقيق شاهده ، فهو العزيز جانبه ، المنيع مناكبه »[2] .

فالحدّ الفاصل بين الصدق والكذب عند عبدالقاهر هو أن الصدق : الذي لايخالف فيه عقل ، أما الكذب : فهو الذي لايمكن أن يقضي بصحته فيُذهَبُ فيه إلى التخييل والمبالغة .

ولما وجد التخييل لوناً من ألوان الكذب رأى وجوب خروج الاستعارة من باب التخييل لورودها في القرآن الكريم ، وحجته في ذلك « أن المستعير لايقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة وإنما يعمد إلى إثبات شبه هناك فلايكون مخبره على خلاف خبره »[3] .

وقد مثل لهذا بقوله تعالىٰ : ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾[4] قائلاً : « ثم لا شبهة في أن ليس المعنى إثبات الاشتعال ظاهراً وإنما المراد إثبات شبهه »[5] .

---

(١) نفس المرجع ص٢٥٠ .

(٢) نفس المرج ص٢٥١ .

(٣) نفس المرجع ص٢٥٢ .

(٤) سورة مريم ، آية ‹٤› .

(٥) الأسرار ص٢٥٢ .

والحق أن المعنى هنا على طريقة العرب في كلامهم : ادعاء الاشتعال كما سبق أن قرر عبدالقاهر ذلك في موضع آخر .

والقارىء لهذا الفصل في الأسرار يشعر بتناقض عبدالقاهر ، وذلك عند حديثه عن القسم التخييلي فالملاحظ فيه أنه يمثل بأمثلة من الاستعارة يحاول توجيهها توجيهات تبعدها عن الاستعارة ، مثل قول أبي تمام :

إن ريب الزمان يحسن أن يهـ ـدي الرزايا إلى ذوي الأحساب

وكذلك قول الصولي :

الريح تحسدني عليـ ـك ولم أخلها في العدا

لما هممت بقبلة ردت على الوجه الردا

فالحسد من صفات الإنسان ، وقد ادعى الشاعر أن الريح تحسد - وهذه هي الاستعارة . لكن عبدالقاهر لايذكر الاستعارة هنا بل يقول : « وذلك أن الريح إذا كان وجهها نحو الوجه فواجب في طباعها أن ترد الرداء عليه ، وأن تُلفّ من طرفيه ، وقد ادعى أن ذلك منها لحسد بها وغيرة على المحبوبة ، وهي من أجل ما في نفسها تحول بينه وبين أن ينال من وجهها »[1] .

ومما يكون بنفس الطريقة أيضاً : (لمحمد بن وهيب)

وحاربني فيه ريب الزمان كأن الزمان له عاشق

فالمحاربة ليست من صفات الزمان ، لكن الشاعر يثبتها للزمان ادعاءً . أي يستعير المحاربة للزمان ، وفي هذا البيت يقول عبدالقاهر إن الشاعر هنا « لم يضع علّة ومعلولاً من طريق النص على شيء بل أثبت محاربة من الزمان في معنى الحبيب ثم جعل دليلاً على علّتها جواز أن يكون شريكاً له في عشقه . وإذا حققنا لم يجب لأجل أن جعل العشق علة للمحاربة وجمع بين الزمان والريح في ادعاء العداوة لهما

---

(١) نفس المرجع ص٢٥٨ .

أن يتناسب البيتان من طريق الخصوص والتفصيل ، وذاك أنا في وضع الشاعر للأمر الواجب علة غير معقول كونها علة لذلك الأمر ، وكون العشق علة للمعاداة في المحبوب معقول معروف غير بدع ولامنكر ، فإذا بدأ فادعى أن الزمان يعاديه ويحاربه فيه فقد أعطاك أن ذلك لمثل هذه العلة ، وليس إذا ردّت الريح الرداء فقد وجب أن يكون ذلك لعلة الحسد أو لغيرها لأن رد الرداء شأنها فاعرفه ، فإن من شأن حكم المحصّل أن لاينظر في تلاقي المعاني وتناظرها إلى جمل الأمور وإلى الإطلاق والعموم ، بل ينبغي أن يدقق النظر في ذلك ويراعي التناسب من طريق الخصوص والتفاصيل . فأنت في نحو بيت ابن وهيب تدعي صفة غير ثابتة هي إذا ثبتت اقتضت مثل العلة التي ذكرها ، وفي نحو بيت الريح تذكر صفة ثابتة حاصلة على الحقيقة ثم تدعي لها علة من عند نفسك وضعاً واختراعاً فافهمه »[١] .

وكذا قول المتنبي :

ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم   لعل بها مثل الذي بي من السقم

فلو لم تغر لم تَزو عنّي لقاءكم   ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي

يقول عبدالقاهر : « الدعوى في إثبات الخصومة وجعل النوى كالشيء الذي يعقل ويميز ويريد ويختار ، وحديث الغيرة والمشاركة في هوى الحبيب يثبت بثبوت ذلك من غير أن يفتقر منك إلى وضع واختراع »[٢] .

فهذه الأبيات وغيرها من قبيل الاستعارة ، وكأن عبدالقاهر لم يقرر ذلك من قبل وانصرف إلى التعليل والتخييل فقط ناسياً أن التخييل قد يدخل في بعض الاستعارات - كالاستعارة المكنية - بل نجده يذكر ماهو من قبيل الاستعارة في باب التشبيه ، فيقول : « وينبغي أن تعلم أن باب التشبيهات قد حظي من هذه الطريقة بضرب من

---

(١) نفس المرجع ص٢٥٨ .

(٢) نفس المرجع ص٢٥٩ .

السحر لاتأتي الصفة على غرابته ، ولايبلغ البيان كنه ما ناله من اللطف . . . فمن ذلك قول ابن الرّومي :

خجلت خدود الورد من تفضيلـه — خجـلاً تـوردهـا عليـه شاهــد

لم يخجل الورد المورَّد لونــه — إلا وناحلـه الفضيلـة عانــد

وترتيب الصنعة في هذه القطعة أنه عمل أولاً على قلب طرفي التشبيه ، كما مضى في فصل التشبيهات ، فشبه حمرة الورد بحمرة الخجل ثم تناسى ذلك وخدع عنه نفسه وحملها على أن تعتقد أنه خجل على الحقيقية . . . »[١] .

ولاشك أن فكرة تناسي التشبيه هذه هي الأساس الذي تبنى عليه الاستعارة . ولعل عبدالقاهر قد عدّ هذا القول من قبيل التشبيه اعتماداً على أن أساس الاستعارة هو التشبيه .

لكن عبدالقاهر لايلبث أن يعود ليدخل الاستعارة في التخييل فيقول : « وهذا نوع آخر من التخييل وهو يرجع إلى مامضى من تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه إلا أن مامضى معلل وهذا غير معلل ، بيان ذلك أنهم يستعيرون الصفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المعقولة ، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها وأدركوها بأعينهم على حقيقتها ، وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجر منهم على بال ، ولم يروه ولا طيف خيال ، ومثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ، ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علواً من طريق المكان »[٢] .

ثم يعود ليؤكد على دخول الاستعارة في التخييل قائلاً : « فقد حصل من هذا البـاب أن الاسم المستعـار كلما كان قدمه أثبت في مكانه وكان موضعه من الكــلام

---

(١) نفس المرجع ص٢٦٣ .

(٢) نفس المرجع ص٢٧٨ ، ٢٧٩ .

أضنّ به وأشد محاماة عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرّح بالتشبيه فأمر التخييل فيه أقوى ودعوى المتكلم له أظهر وأتم »[١] .

ومن هنا يأتي التناقض ، وذلك أن عبدالقاهر بدأ بإخراج الاستعارة من التخييل ثم عاد وأدخلها فيه ، يقول : « إن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه وكان موضعه من الكلام أضن وأشد محاماة عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرح بالتشبيه فأمر التخييل فيه أقوى ودعوى المتكلم له أظهر وأتم »[٢] .

وكأن إخراج عبدالقاهر الاستعارة من التخييل لم يكن إلا لاعتباره التخييل من باب الخداع والكذب ووجود الاستعارة في القرآن الكريم .

لكن المتصفح للأسرار يجد أن عبدالقاهر قد تناول التخييل والادعاء في عدّة مواضع وأوضح دورهما في التشبيه والاستعارة .

يقول : « وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل أن يوهم في الشيء هو قاصر عن نظيره في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها واستيجاب أن يجعل أصلاً فيها ، فيصح على موجب دعواه وشوقه إلى أن يجعل الفرع أصلاً ، وإن كنّا إذا رجعنا إلى التحقيق لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه ، ومثاله قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصباح فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعاً ووجه الخليفة أصلاً . واعلم أن هذه الدعوى وإن كنت تراها تشبه قولهم : لايُدرىٰ أوجهه أنور أم

---

(١) نفس المرجع ص٢٩٥ .

(٢) نفس المرجع ص٢٩٥ .

الصبح ؟ وغرته أضوأ أم البدر ؟ وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من جبينه ، وماجرى في هذا الأسلوب من وجوه الإغراق والمبالغة ، فإن في الطريقة الأولى خلابة وشيئاً من السحر .

وهو أنه كأنه مستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ويوهم أنه قد احتشد له واجتهد في طلب تشبيه يفهم به أمره . وجهته الساحرة أن يوقع المبالغة في نفسك من حيث لاتشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤها لها لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه ويزجي الخبر عن أمر مسلم لاحاجة فيه إلى دعوى ، ولا إشفاق من خلاف مخالف وإنكار منكر وتجهم معترض وتهكم قائل « لِمَ » و « من أين لك ذلك ؟ » والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها ضرب من السرور خاص ، وحدث بها نوع من الفرح عجيب »[١] .

فالتخييل والادعاء من الأمور التي تجلب السرور والفرح للنفس .

وعند حديثه عن قول الشاعر :

وكأن النجـــوم بين دجـــاه سنن لاح بينهن ابتـــداع

يقول : « إن طريقة العكس لاتجيء في التمثيل على حدها في التشبيه الصريح وأنها إذا سلكت فيه كان مبنياً على ضرب من التاؤل والتخيّل يخرج عن الظاهر خروجاً ويبعد عنه بعداً شديداً . فالتأويل في البيت أنه لما شاع وتعورف وشهر وصف السنة ونحوها بالبياض والإشراق والبدعة بخلاف ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارهـا** » وقيل « هذه حجة بيضاء ، وقيل للشبهة وكل ماليس بحق « أنه مظلم » ، وقيل سواد الكفر وظلمة الجهل ، يخيل أن السنن كلها جنس من الأجناس التي لها إشراق ونور وابيضاض في العين ، وأن البدعة نوع من الأنواع وأن لها فضل اختصاص بسواد

---

(١) نفس المرجع ص٢٠٥ ، ٢٠٦ .

اللون فصار تشبيهه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع على قياس تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب أو بالأنوار وائتلافها بين الثبات الشديد الخضرة . فهذا ههنا كأنه ينظر إلى طريقة قوله : « وبدا الصباح كأن غرّته » في بناء التشبيه على تأويل هو غير الظاهر إلا أن التأويل هناك أنه جعل في وجه الخليفة زيادة من النور والضياء يبلغ بها حال الصباح أو يزيد ، والتأويل ههنا أنّه خيّل ماليس بمتلون كأنه متلون ثم بنى على ذلك »[١] . ثم يقول في الفرق بين التمثيل والتشبيه « وأما التشبيه الصريح ، فإنك ترى صورتين على الحقيقة . يبين ذلك أنا لو فرضنا أن تزول عن أوهامنا ، ونفوسنا صور الأجسام في القرب والبعد وغيرهما من الأوصاف الخاصة بالأشياء المحسوسة ، لم يمكنا تخيل شيء من تلك الأوصاف في الأشياء المعقولة ، فلا يتصور معنى كون الرجل بعيداً من حيث العزة والسلطان قريباً من حيث الجودة والإحسان ، حتى يخطر ببالك ، وتطمح بفكرك ، إلى صورة البدر وبُعْد جرمه عنك وقرب نوره منك ، وليس كذلك الحال في الشيئين يشبه أحدهما الآخر من جهة اللون والصورة والقدر ، فإنك لاتفتقر في معرفة كون النرجس وخرطه واستدارته ، وتوسط أحمره لأبيضه ، إلى تشبيهه بمداهن در حشوهن عقيق ، كيف وهو شيء تعرضه عليك العين وتضعه في قليل المشاهدة ، وإنما يزيدك التشبيه صورة ثانية مثل هذه التي معك ويجتلبها ، لكن من مكان بعيد حتى تراهما معاً وتجدهما جميعاً . وأما في الأولى ، فإنك لاتجد في الفرع نفس مافي الأصل من الصفة وجنسه وحقيقته ، ولايحضرك تمثيل الأصل على التعيين والتحقيق ، وإنما يخيّل إليك أنه يحضرك ذلك ، فإنه يعطيك من الممدوح بدراً ثانياً فصار وزان أن المرآة تخيّل إليك أن فيها شخصاً ثانياً على صورة ماهي

---

(١) نفس المرجع ص٢٠٩ .

مقابلة له .. ومتى ارتفعت المقابلة ذهب عنك ماكنت تتخيله ، فلا تجد إلى وجوده سبيلاً ، ولاتستطيع له تحصيلاً ، لاجملة ولاتفصيلاً »[1] .

وعلى هذا لايكون التخييل بمعنى الكذب بل يكون عاملاً من العوامل التي تساعد على إضفاء الجمال على النص الأدبي .

ومن المواضع التي يجب ألا نغفلها من حديث عبدالقاهر عن التخييل قوله « وجملة الحديث الذي أريده بالتخييل ههنا مايثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً »[2] .

فقوله « ههنا » يعني أن التخييل عنده على معان متعددة منها ماهو مقابل للحقيقة ومن أمثلته :

لاتنكري عطل الكريم من الغنى

الشيب كره وكره أن يفارقني

وبياض البازي أصدق حسناً

لذلك نجد عبدالقاهر يخرج الاستعارة من مثل هذا التخييل ويدخلها تخييلاً آخر وهو الذي سبق أن تحدث عنه في مواضع أخرىٰ من الكتاب ، يقول في القسم الثاني للاستعارة في الاسم : « أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لايبين فيه شيء يشار إليه . . . . ومثاله قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرّة ... إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه . . . بل ليس أكثر من أن تخيّل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبّر المصرّف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه . وذلك كلّه لايتعدى التخيّل والوهم ،

(١) نفس المرجع ص٢١٩ .

(٢) نفس المرجع ص٢٥٣ .

والتقديـــر في النفـــس ، من غيـــر أن يكـــون هنـــاك شـــيء يحـــس ، وذات تتحصـــل »[١] .

وقد يـزول مثـل هـذا التناقض إذا قـرأنا ما كتبه د . الصاوي في كتابه « فن الاستعارة » يقول : « تحدث عبدالقاهر الجرجاني عن « التخييل » في غير موضع من « أسرار البلاغة » ، ولكـن هـذه الكلمة تتنازعها عنده ثلاثة معان ، معنى كلامي ، ومعنى فني شبيه بمعنى المحاكاة ، ومعنى بياني ، متأثراً بتقسيم ابن سينا لأنواع التخييل إلى تشبيه واستعارة ، وتركيب منهما « أما المعنى المنطقي الكلامي فإنه يضع التخييل مقابلاً للحقيقة . . . ثم يتحرر عبدالقاهر بعد ذلك من النظرة المنطقيـة ويجتذبـه المعنى الفني للتخييل ، ولانلبث حتى نرى التخييل يأخذ معنى « المحاكاة » ، وذلك حين يتحدث عن المعاني المبتدعة في التمثيل . . . فكأن عبدالقاهر قد استعاض عن كلمة « التخييل » في معظم بحثه البياني بهذه الكلمات الثلاث (التشبيه والاستعارة والتمثيل) وهو عندما جمع هذه الأشكال البيانية في صعيد واحد قد تفرد بذلك عن غيره »[٢] .

أما عن الاستعارة ومكانها بين هذه المعاني الثلاث ، فإنه لايمكن إخراجها من المعنى الأول لأن عبدالقاهر - كما يقول الباحث - قد تحرر منـه .

يبقى المعنـــى الثـــاني - فني شبيه بمعنى المحاكاة - والمعنى الثالث - معنى بيـاني - والاستعارة عند الإمام من المعنى الثالث الذي هو تطوير للمعنى الثانـي إذ يحدده في مصطلح ، فالمحاكاة التي لاتعنى بالمعنى الفني ليست محاكاة بنّاءة وإنما هي بمثابة التقليد الصرف ، والمحاكاة نفسها تحمل في إطارها المعنى الفني للتخييل لأنها تعني تجاوز الأصل ومحاولة الإضافة وهو ماينطبق على وظيفة الاستعارة .

---

(١) نفس المرجع ص٤٢ ، ٤٣ .

(٢) فن الاستعارة ، د . أحمد الصاوي ص٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

الفصل السادس «ب»

تقويم جهود عبدالقاهر
بين سابقيه ولاحقيه

إذا كان مفكر القرن الخامس الهجري قد فكر بطريقة تشبه طريقة مفكري القرن الخامس عشر الهجري فإن ذلك يُثبت نضج عقليــة عبدالقاهر ومدى عبقريته ، كما يثبت حقيقة أن تراثنا القديم ثريّ وغنيّ وأنه ليس مجرد قوالب جافة أو مصطلحات غامضة غير دالة . وهذا ماسيتضح لنا إذا مااستعرضنا آراء عبدالقاهر وآراء المحدثين في الاستعارة إذ إننا سنجد أن كثيراً من النقاد المحدثين يلتقون بعبدالقاهر في مفهوم الاستعارة .

فمن الأمور التي التقى فيها المحدثون بعبدالقاهر :

١ - فكرة النقل وفكرة الادعاء :

لقد كانت فكرة النقـل هي المدخل الرئيسي للاستعارة عند كثير من النقاد العرب قبل عبدالقاهر[١] ، ثم جاء عبدالقاهـر فأقرها[٢] ، ولكن فضّل عليها لفظ « ادعاء » لما يحمل من معاني التفاعل والاتحاد بين الطرفين ، فالاستعارة ليست عبارة عن محض نقل الاسم وإنما هي ادعاء معنى الاسم[٣] .

إن هذا التحـري الدقيـق لدلالات المصطلحـات لـدى ناقد القرن الخامس يقابلـه مافعله ريتشاردز في العصر الحديث حين فضل لفـظ « تفاعل » على لفـظ « استبدال » يقول « عندما نستخدم الاستعارة في أبسط صورها فإنه يكون لدينا فكرتان عن شيئين مختلفين ، والفكرتان تتفاعلان معاً ، وتدعمها كلمة مفردة أو عبارة يكون معناها هو محصلة هذا التفاعل »[٤] . فقد استغل ريتشاردز مصطلـــح

---

(١) تقدم الحديث عن السابقين في التمهيــد .

(٢) رفضها مجردة .

(٣) انظر الدلائل ص٤٣٤ .

(٤) فن الاستعارة ص١١٧ عن A. Richards : Philophy of Rhetric-93 .

النقل « بعد أن جرّده من سذاجـة التبـادل اللفظي وضحالتـه وأكسبه عمـق المغنى الشعوريّ عندما نظر إلى الاستعارة بوصفها نوعاً من التفاعل »[١] .

وتفضيل مصطلح الادعاء أو التفاعل لايعني رفض مصطلح النقل الذي جاء لدى القدماء كابن قتيبة والرماني وغيرهم أو الاستبدال الذي جاء في العصر الحديث في معجم أكسفورد وعند الناقد ماكس بلاك[٢] ، لأن من المسلم به « جريان الاستعارة في المعاني دلالية كانت أم شعورية »[٣] قديماً وحديثاً وليس حديثاً فقط كما يذكر صاحب فن الاستعارة[٤] . فمن غير المعقول أن يظن ناقد كابن قتيبة أو الرماني أو الآمدي أو العسكري أو غيرهم أن المستعير قد نقل لفظ « أسد » إلى شجاع دون أن يقصد التعبير عن معنى الشجاعة في استعارة الأسد .

٢ - الاستعارة المفيدة وغير المفيدة :

لم يلتفت القدماء في تناولهم للاستعارة غالباً إلا لما كانت تحمله من بُعد شعوريّ كاستعارة الجمل لليل في جثومه على صدر الشاعر أو الشمس للحبيبة في الإشراق وماتبعثه في النفس من شعور بالبهجة والارتياح ، كما نبهوا إلى أن العرب إنما استعارت المعنى « لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه »[٥] معتمدين في ذلك على الذّوق الأدبي لدى النقاد والبلاغيين الذين

---

(١) فن الاستعارة ص١١٦ عن Mod'el : and Metaphors P.P 25 , 47 .

(٢) وانظر فن الاستعارة ص١١٣ .

(٣) انظر فن الاستعارة ص١١٩ .

(٤) المرجع نفسه ص١١٩ .

(٥) الموازنة للآمدي ص٢٣٤ .

يدركون بحكم البديهة أن الاستعارة لاتعني مجرد الجمع بين أشياء متباعدة دون رابط معنويّ هو ماعبّروا عنه بالمقاربة والشبه ونحوهما . فلما وُجد مَنْ يُدخل في الاستعارة ما اعتمد على مجرد فكرة النقل كابن دريد حين عدّ من الاستعارة إطلاق المشفر على الشفة ونحو ذلك ، لّما حدث هذا وجد عبدالقاهر ضرورة الوقوف عند هذه الفكرة وتمحيصها فتناول الأبيات التي عدّها ابن دريد من قبيل الاستعارة وخرج من دراسته لها بفكرة وجود نوعين من الاستعارة هما : غير المفيدة[1] والمفيدة ، فإذا كان الجمع بين المستعار له والمستعار منه لمجرد التوسع في الاستعمال كانت الأولى ، وإذا كانت مبنية على التشبيه كانت الثانية .

وقريب من هذه الفكرة ماذهب إليه ريتشاردز ، إذ فرّق في كتابه « النقد العملي » بين نوعين أساسين من الاستعارة ، الأول ماسماه الاستعارة الانفعالية ، وهي التي تعبر عن انفعال الشاعر ، والثاني استعارة المعنى الفكري أو ماسماه بالمعنى النثري إذ يقول « وفي الاستعارة التي توصل معنى نثرياً ، فإن انتقال الكلمة يكون محكوماً ومبرراً بنوع من القياس أو التشابه بين الشيء الذي تستعمل له الكلمة في العادة وبين الشيء الذي تنقل إليه الكلمة ، وأما في الاستعارة الانفعالية فإن أساس التحوّل أو الانتقال هو نوع من التشابه بين المشاعر التي يثيرها الموقف الجديد وبين المشاعر التي يثيرها الموقف العادي الذي كانت تستعمل له الكلمة »[2] .

وحول الاستعارة الانفعالية دار كثير من الدراسات النقدية الحديثة مما يُفهم منه عدم اعتدادهم بالنوع الآخر ، فالاستعارة الجيدة عند : جاريت وكولردج

---

(١) وقد رجع عبدالقاهر عن تسمية هذا النوع استعارة في نهاية الأسرار كما أوضحت ذلك في فصل أقسام الاستعارة .

(٢) فن الاستعارة ص٣٤٤ عن A. Richards : Practical Criticism : 221 .

وماكس بلاك وجكنز وأندريه برايتون[١] هي التي تتصل بالعالم الداخلي للشاعر ، وهو نفس مارآه القدماء[٢] في حديثهم عن تعريفات البلاغة والشعر حين جعلوا ألفاظ اللغة وتراكيب الكلام « تجسيد للمعاني الجارية في النفوس »[٣] . وإن كان عبدالقاهر قد تميّز بتوضيح هذا وتفصيله في حديثه عن ارتباط الألفاظ بما في النفس من معان[٤] .

وفي حديثه عن أساس الجمع بين المختلفات في التشبيه والاستعارة وأنه أساس نفسي يقول « لم تأتلف هذه الأجناس المختلفة للمتمثل . . . إلا لأنه لم يراع مايحضر العين ولكن مايستحضر العقل ، ولم يُعْنَ بما تنال الرؤيا بل بما تعلق الرويّة ولم ينظر إلى الأشياء من حيث تُوعى فتحويها الأمكنة ، بل من حيث تعيها القلوب الفطنة »[٥] . وقد التقى كروتشة وفندريس مع الجرجاني « عند حقيقة أن التعبير الفعال وأن هذا الانفعال يتمثل في نظام الألفاظ في العبارة »[٦] .

هذا ، ومن البدهي أن النقاد والبلاغيين القدماء لم يروا في الاستعارة مجرد الربط بين شيئين ، فالتداعي - كما يقول د . ناصف وهو ممن يتهم القدماء بالشكلية - « لايعتمد على مابين الأفكار من تشابه اعتماده على مابين حالات الشعور من تجاوب وتناظر »[٧] . وإذا كان من الممكن أن يفهم من كلام د . الصاوي في كتابه

---

(١) نفس المرجع ص١٣٢ - ٣٠٤ ومابعدها ، و ص٣٤٤ ومابعدها .

(٢) ابن جنى .

(٣) الإعجاز البلاغي ، د . أبو موسى ص٤٧ .

(٤) انظر دلائل الإعجاز ص٣٥ ، ٣٨ .

(٥) أسرار البلاغة ص١٣٨ .

(٦) الأسس الجمالية ، د . عزالدين اسماعيل ، ص٣٣٦ .

(٧) الصورة الأدبية ص٣٧ .

« فن الاستعارة » أن القدماء فسروا الاستعارة على أساس قانون الترابط بين الأشياء فإن هذا الفهم قد يصححه ماجاء في كتابه « النقد التحليلي » عند دراسته لقضية الصدق الفني إذ رأى أن القدماء اهتموا بما يكشف الواقع النفسي الكامن خلف الصور[(١)] .

٣ - ماله مقابل وماليس له مقابل :

لقد أشار عبدالقاهر في الاستعارة المفيدة إلى قسمين : ماله مقابل - التصريحية - وماليس له مقابل - المكنية - مما أوقع بعض الدارسين المحدثين في شبهة أن عبدالقاهر قد نفى بناء الاستعارة المكنية على التشبيه حين جعلها في القسم الذي ليس له مقابل ، فأكّد د . شوقي ضيف . هذا في حديثه عن فهم عبدالقاهر للاستعارة فقال إن « الاستعارة المكنية لاتقوم على التشبيه وإنما تقوم على بث الحياة والحركة في المشبه لغرض المبالغة »[(٢)] ، وتردد د . الصاوي بين القول بإخراج عبدالقاهر لها من دائرة التشبيه أو بنائها عليه ، فقد قال في موضع من كتابه « فن الاستعارة » وعلى هذا فالاستعارة المكنية لاتقوم على مجرد التشبيه وإنما تقوم على بث الحياة والحركة في المشبه لغرض المبالغة »[(٣)] ، فلم ينف ابتناء الاستعارة المكنية على التشبيه بل نفى أن تقوم على مجرد تطابق حرفيٍ بين الطرفين ، ثم عاد في آخر كتابه يقول عن

---

(١) انظر فن الاستعارة ص٣٠٨ - ٣٠٩ ، والنقد التحليلي ص٣١٠ .

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ، د . شوقي ضيف ص١٩٤ . وهذا ماجعله يُخطّيء الجاحظ في عدّ بكاء السحابة من قبيل الاستعارة ص٥٤ ، انظر الصورة البلاغية عند عبدالقاهر ، د . أحمد دهمان ص٥٢٣ .

(٣) فن الاستعارة ص١٢١ .

عبدالقاهـر « ثم يبـدأ بعد ذلك في نفي وجود أي علاقة بين التشبيـه والاستعـارة المكنيـة »[1] .

لقد وقع هؤلاء الباحثون في هذه الشبهة لمقارنتهم بين مفهوم عبدالقاهر للاستعارة والمفهوم الغربي لها الذي يجعل التشبيه نوعاً من المجاز والتشخيص نوعاً من أنواع الصورة ، فيفرق بين الاستعارة والتشخيص ، وحقيقة الأمر أن التشخيص لايخرج عن الاستعارة وهو يقوم على تشبيه مضمر في النفس بذي الحركة من الأحياء .

ونستطيع أن نقول الآن أن لعبدالقاهر فضل إيضاح الفكرة دون تعقيد المصطلحات وأربى على المحدثين في تقليل الأقسام - وهو مما يعيبونه على البلاغة العربية - مع الإيفاء بالغرض ، فالقول « ببث الحياة » - كما ذكرنا سابقاً - لايتعارض مع القول باستعارة صفات الأحياء .

والواضح من كلام عبدالقاهر أن الاستعارة التي ليس لها مقابل تعتمد على التشبيه وإن كان الوصول إليه يحتاج إلى نوع من التأمّل ، وقد أكّد في مواضع كثيرة أن الاستعارة - من أي النوعين - تعتمد على التشبيه[2] .

٤ - النظـم :

نسب بعض المحدثين لعبدالقاهر الفضل في جعل التعبير الفني لحظة واحدة لاينفصل فيها المعنى عن الأسلوب الذي يظهر فيه ، وربطوا بين رأيه هذا وآراء المحدثين ، يقول د . الصاوي « وإذا كان هذا هو منهج عبدالقاهر في القرن الخامس الهجري وهذه هي نظرته للصورة الأدبية التي لاتخضع عملية الخلق الأدبي فيها للحظتين ، لحظة تأليف ، ثم لحظة تحسين وزخرفة بالاستعارة وغيرها ، فإننا نرى

---

(١) المرجع نفسه ص٢١٤ . وانظر النقد التحليلي ص٢٦٢ .

(٢) مثلاً : انظر ص٢٠ ، ٣١ ، ٤٤ .

ناقداً مثل كروتشيه يرى أن هذا الاتجاه ملأ ساحة فلسفة الفن والجمال وخدع كثيراً من الناس »[1] .

والحقيقة أن لعبدالقاهر فضل شرح وإيضاح نظرية النظم ، وقد سبق إلى الإشارة إليها كل من الجاحظ والخطابي[2] ، والباقلاني[3] ، والقاضي عبدالجبار المعتزلي ، ولم ينفِ غيرهم أهمية النظم[4] ، وهذا يبعد الرأي القائل إن القدماء قد جعلوا التعبير الفني لحظتين ، لحظة التعبير بالمعنى الخاص بالكلمة ، ثم لحظة زخرفة التعبير .

إن إرجاع بلاغة التعبير الأدبي إلى ارتباط العناصر بعضها ببعض في سياق خاص « النظم » قد جعل الصلة بين النحو والبلاغة وثيقة وهذا يعني أن الكلمة في سياق تؤدي معنى مختلفاً عنها في سياق آخر ككلمة « الأخدع » التي استشهد بها عبدالقاهر فأوضح حسنها في موضع وقبحها في آخر[5] ، وبالمثل فإن اختلاف الأساليب يحمل وراءه اختلافاً في المعنى كقولنا « زيد المنطلق » يحمل معنى مغايراً لقولنا « المنطلق زيد » أو « زيد ينطلق » ، أو « زيد هو المنطلق »[6] .

---

(١) فن الاستعارة ص١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٣٤ .

(٣) انظر إعجاز القرآن ص٣٥ - ٥٠ .

(٤) كما ذهب د . الصاوي إلى ذلك عند حديثه عن ابن قتيبة وابن المعتز ، انظر فن الاستعارة ص١٣٤ .

(٥) انظر دلائل الإعجاز ص٤٦ ، ٤٧ .

(٦) انظر دلائل الإعجاز ص٨١ .

إن ماقرره عبدالقاهر « يؤدي بنا إلى إدراك أن معاني النحو إنما هي ألوان نفسية تصب في قالب جميل هو السياق الذي يمنحها القدرة الفنيـــة »[١] ، وهذا ماقرره أيضاً كروتشيه حين رفض الفصل بين الفكر والخيال في ميـدان التعبير الأدبي ذلك « أننا في مجال الأدب لن نجد إلا خيالاً وشعراً وفنّاً »[٢] . لقد سبق ناقدنا بتوطيده دعائم نظرية النظم النقاد المحدثين في عمق نظرته إلى اللغة بوصفها مجموعة من العلاقات التي تعكس موقفاً نفسياً للمبدع ، فقد التقى معه كروتشيه في تصوره للعلاقة بين الحدس والتعبير حين قرر « أنه لاموضع لتصور حدس بدون تعبير كما أنه لاموضع لتصور نفس بلا بدن . . . فإن الفكرة عندنا لاتكون فكرة ، اللهم إلا إذا كان في إمكاننا أن نصوغها في كلمات ، واللحن الموسيقي لايكون لحناً موسيقياً اللهم إلا إذا كان في استطاعتنا أن نؤديه بمجموعة من الأنغام »[٣] .

وحين يعبّر عن ارتباط الشكل بالمضمون في العمل الفني بعبارة « كانت » المشهورة « إن العاطفة بدون الصورة عمياء ، والصورة بدون العاطفة جوفاء »[٤] .

ونجد فكرة النظم في نظرية الفيلسوف الفرنسي « ألن » في الفن والتي يجعل فيها من الفنـــان « ذلك الصانـع الذي يصطرع مع المادة - لغة كانت أم حجارة أم أصباغاً أم غير ذلك - حتى يجبرها على أن تتثنى وتنعطف تحت إيقاع ذبذباته الفكرية ! »[٥] .

---

(١) الصورة البلاغية د . أحمد دهمان ج١ ص٦٩ .

(٢) فن الاستعارة د . الصاوي ص١٣٦ عن المجمل في فلسفة الفن ص٦٤ - ٦٥ .

(٣) فلسفة الفن في الفكر المعاصر د . زكريا ابراهيم ص٥٢ ، وانظر فن الاستعارة د . الصاوي ص١٢٦ في نفس الفكرة لريتشاردز .

(٤) نفس المرجع ص٥٠ عن مرجع أجنبي Bieviaire d'Eathetique P. 46 .

(٥) نفس المرجع ص١٣٥ .

وقريب منه تلك الرؤيا التي ترى أن العمل الفني ليس « مجموعة من المصادفات السعيدة أو الإشراقات الإلٰهية . بل هو ثمرة لقدرة تركيبية هائلة تتمثل في تنظيم الأحلام وصياغتها في صورة استطيقية تتلاءم مع شعور الفنان »[١] .

كما التقى مع هربرت ريد إذ يقول « إن القوى التي تمنحها البلاغة في الأسلوب تظهر أولاً بطريقة رصف الكلمات ثم بعلاقتها بالفكره »[٢] . وكما ربط عبدالقاهر بين اللفظة المفردة والسياق فقد ربط بين الاستعارة والنظم إذ لايمكن تذوق الاستعارة إلا بعد العلم بالنظم لأن بلاغتها ترجع إلى علاقتها بالعناصر الأخرى في الصياغة ، وأوضح ذلك عند حديثه عن الاستعارة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[٣] حين رد جمال الاستعارة إلى طريقة الصياغة وذلك بإسناد الفعل إلى المضاف إلى الفاعل ، ونصب الفاعل على التمييز ليفيد الشمول[٤] .

ولما كان من غير الممكن - في ضوء نظرية النظم - التعبير عن استعارة ما بغير الألفاظ الموضوعة لها ليعطي نفس المعنى فإن ترجمة الاستعارة تفقدها كثيراً من مقوماتها ، وهذا ماذهب إليه عبدالقاهر والتقى معه المحدثون مثل : شيلي ، كولونجود ، ابرنست فيشر[٥] ، والتقى عبدالقاهر فيها مع علماء اللغة العرب كالسيوطي وابن فارس[٦] .

---

(١) مشكلة الفن د . زكريا ابراهيم عن مرجع أجنبي Henri Delacroix : Psychologie De L' Art " Alcan , Paris 1927 . P. 153 .

(٢) فن الاستعارة ص١٣٠ عن مرجع أجنبي H. Read : English Prose Style 138 .

(٣) سورة مريم ، آية ‹٤› .

(٤) انظر الدلائل ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٥) انظر فن الاستعارة ص١٥٢ ومابعدها .

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي ، ج١ ص٣٢٢ ومابعدها .

يفرق عبدالقاهر في الترجمة بين الاستعارة المفيدة وغير المفيدة فيقول :

« ولو أن مترجماً ترجم قوله : وإلا النّعام وحفّانه .

ففسر الحفّان باللفظ المشترك الذي هو كالأولاد والصغار لأنه لايجد في اللغة التي بها يترجم لفظاً خاصاً لكان مصيباً ومؤدياً للكلام كما هو ، ولو أنه ترجم قولنا « رأيت أسداً » تريد رجلاً شجاعاً فذكر مامعناه معنى قولك « شجاعاً شديداً » وترك أن يذكر الاسم الخاص في تلك اللغة بالأسد على هذه الصورة لم يكن مترجماً للكلام بل كان مستأنفاً من عند نفسه كلاماً »[١] .

فاستخدام لفظ الحفّان مع عدم قصد التشبيه يجيز ترجمته باللفظ المشترك الذي يعطي معنى الصغار وذلك في اللغة المنقول إليها . أما قولنا « رأيت أسداً تعني رجلاً شجاعاً » ، فإن ترجمته توجب البحث عن لفظ يقابل لفظ « أسد » ليعطي نفس المعنى المقصود في اللغة المنقول منها ، ولو ذكر معنى « الشجاعة الشديدة » ما عُدّ عمله هذا من قبيل الترجمة بل يُعد مؤلفاً لكلام جديد .

٥ - فوائد الاستعارة :

إن الفائدة الأساسية من الاستعارة تكمن في تعبيرها عن معنى ، وتصل إلى هذا الهدف بعدّة طرق كالتزيين أو الإيجاز أو الجدّة أو الإيضاح ، ولايُفهم من قولنا التزيين أن « مهمتها التحلية اللفظية بل تصوير المعنى وإبرازه في قالب فني لاتنفصل الصياغة فيه عن المعنى ولا الصورة عن الإحساس »[٢] .

وقد أدت نظرية عبدالقاهر في النظم إلى تقرير هذه الحقيقة ، أي ارتباط الصورة بالشعور لأن المعاني مرتبطة لديه بالألفاظ ارتباطاً وثيقاً ، ومن هنا نستطيع أن

---

(١) أسرار البلاغة ص٣٤ .

(٢) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر ج١ ص٤٢٠ د . أحمد دهمان .

نفهم جعله الاستعارة من محاسن الكلام فهماً صحيحاً بمعنى عنصر الجمال الذي يُفهم أيضاً من قوله « أمد ميداناً وأشد افتناناً وأكثر جرياناً وأعجب حُسناً وإحساناً »[١] . إن هذا الفهم الدقيق لمعنى التزيين والحسن في الكلام والذي لايجعل الاستعارة مجرد حلية شكلية ، هو نفسه - كما يقول د . الصاوي - مفهوم « بيتي » المعاصر حيث يقول « إن التزيين هو ماتشيعه الاستعارة في النفس من أحاسيس لذيذة »[٢] .

وقريب منه المعنى الخاص للفن لدى سنتيانا الذي « يجعل من الفن مجرد استجابة للحاجة إلى المتعة أو اللذة ، لذة الحواس ومتعة الخيال دون أن يكون للحقيقة أي مدخل في هذه العملية اللهم إلا بوصفها عاملاً مساعداً قد يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية وهو المعنى الذي نقصده حينما نتحدث عن الفنون الجميلة »[٣]. وهو مانعنيه حين نقول إن الخبرة في نظرية الفيلسوف الأمريكي « جون ديوي » في الفن « حين تفضى إلى خفض التوتر نتيجة للإشباع إنما تنطوي على ضرب من الإيقاع وبالتالي فإنها تؤدي في خاتمة المطاف إلى تزويدنا بإحساس جمالي هو الشعور بالرضا أو اللذة أو الاستمتاع »[٤] .

أما الإيجاز الذي يُفهم من قوله « ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدر وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر »[٥] ، فهو الذي

---

(١) الأسرار ص٤٠ .

(٢) فن الاستعارة ص٣٢٢ عن . Beaty & Matchett : Poetry Statement to Meaning , P. 27

(٣) فلسفة الفن المعاصر ، د . زكريا ابراهيم ص٧٠ .

(٤) نفس المرجع ص١٠٤ .

(٥) أسرار البلاغة ص٤١ .

يريده المحدثون بالتكثيف والإيحاء وغير ذلك من المصطلحات التي تعني عندهم أن صيغة الاستعارة تحمل خلفها كثيراً من المعاني والظلال والإيحاءات مع الفارق بين نظريات هؤلاء الفلسفية ونظرية ناقد القرن الخامس البلاغية ، فإن معنى الإيجاز جزء من معنى الغموض في كتاب امبسون « سبعة نماذج من الغموض » الذي يصفه بقوله « إذن فقد يكون للكلمة الواحدة عديد من المعاني المتمايزة وعديد من المعاني المرتبط أحدها بالآخر ، وعديد من المعاني التي يحتاج واحدها إلى الآخر ليكمله أو عديد من المعاني تتحد معاً ، حتى إن الكلمة تعني علاقة واحدة أو سياقاً واحداً وهذا مساق يستمر مطرداً ، فالغموض معناه : أنك لاتحسم حسماً فيما تعنيه أو تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة وفيه احتمال أنك تعني واحداً أو آخر من شيئين أو تعني كليهما معاً وأن الحقيقة الواحدة ذات معاني عدّة »[1] . ويتفق أمبسون مع عبدالقاهر في « المعيار الذي يصلح للتمييز بين أنواع الغموض الجيّدة والرديئة » فيقول « يكون الغموض محترماً مادام يُسند تعقيد الفكر ، أو لطافته أو اكتنازه أو مادام ندحةً يستغلها الأديب ليقول بسرعة ماقد فهمه القارىء ثم هو لايستحق الاحترام إن كان وليد ضعف أو ضحالة في الفكر ويُبهم الأمر دون داع . . أو عندما لاتتوقف قيمة العبارة على ذلك الغموض بل يكون مجرد وسيلة لتوجيه المادة وتصريفها وذلك إن كان القارىء لايفهم الأفكار التي اختلفت وانطبع عليه شيء من عدم الاتساق »[2] .

ويقول عبدالقاهر : « ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف . . . فإن قلت : فيجب على هذا أن يكون التعقيد

---

(١) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ستانلي هايمن ج٢ ص٥٥ .

(٢) نفس المرجع ص٥٦ .

والتعميـة وتعمّـد مايكسب المعنى غموضاً مشرفاً له وزائداً في فضله . . . فالجـواب أنّي لـم أرد هـذا الحد من الفكـر والتعب وإنما أردت القـدر الذي يحتـاج إليه في نحـو قولـه : فإن المسك بعض دم الغزال . . . . وأما التعقيد فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفـظ لم يرتب الترتيب الذي بمثلـه تحصـل الدلالـة على الغرض حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق . . . وإنمـا ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكـر زائد على المقدار الذي يجب في مثله . . . حتى إذا رمت إخراجه منه عسر عليك وإذا خرج خرج مشوّه الصـورة »[١] .

ويتفق « لاسل أبر كرومبي » مع عبدالقاهر في عد الاستعارة تعبيراً مركزاً لمعان عديدة حين يقول « فعن طريق هذه الصور والألفاظ المركزّة إلى أقصى درجات التركيز يستطيع الشاعر التعبير عن تجاربه المحضة »[٢] ، و يقول « لابد لفن الأدب أن يصبح إلى درجة كبيرة مجرد إيحاء ، وإن أسمى مايصل إليه فن الأدب هو أن يجعل الإيحاء اللفظي من القوة والسيطرة وبُعد المدى والحيوية والدقة بمكان عظيم »[٣] .

الجـدَّة :

إن الجدة التي في الاستعارة التي قال عنها عبدالقاهر « من الفضيلة الجامعة فيها أن تبرز هذا البيان في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظـة الواحدة فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولهـا

---

(١) الأسرار ص١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) فن الاستعارة ، د . الصاوي ص٣٥٢ ، عن قواعد النقد الأدبي لكرومبي ص٤٥ - ٥٦ .

(٣) المرجع نفسه ص٣٥٢ ، عن قواعد النقد الأدبي لكرومبي ص٣٧ ، ٣٨ .

في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة وخلابة موموقة »[1] تنشأ عن اكتساب الألفاظ معاني جديدة نتيجة تفاعلها في سياق الاستعارة وهذه المعاني الجديدة - كما سبق أن ذكرنا - لاتكون إلا بالنظم الذي جاءت فيه الاستعارة ، فاستعارة « الاشتعال للشيب » مثلاً في سياق قوله تعالىٰ : ﴿ **واشتعل الرأس شيبا** ﴾[2] قدمت لنا معنى الشيب في صورة جديدة ، ومثلها استعارة السيلان للأنصار في قول الشاعر :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصـــاره بوجـــوه كالدنانيـــــر

فالجمع بين أشياء لم يسبق لها أن اجتمعت في سياق خاص هو سر جدة الاستعارة . إن هذا الضرب من التفكير هو مانجده عند الناقد « لويس داي » حين يرىٰ أن الجدة « هي القوة الكامنة في الصورة المكتسبة من أسلوبها أو مادتها أو هما معاً على أن تكشف عن شيء لم تحققه من قبل »[3] ، وهو نفسه مانجده عند ريتشاردز في كتابيه « فلسفة البلاغة » و « مبادىء النقد » حين يرىٰ في الأول أنه ينبغي « أن ننظر إلى الاستعارة باعتبارها كلاً متكاملاً فإن ماتقوم به من فعل التداخل بين طرفيهـا والتفاعل الحي ينتـج معنى جديـداً لم يكن له وجود بأية وسيلة أُخرى . والسبب في ذلك أن كلاً من طرفيها يكتسب بداخلها دلالة جديدة »[4] ، وفي الثاني أن وظيفة الاستعارة تكمن في « أن الذهن يجمع بواسطتها في الشعر أشياء مختلفة لم يوجد بينها من قبل علاقة »[5] . ويقـــول كولردج « أن

---

(١) الأسرار ص٤١ .

(٢) سورة مريم ، آية <٤> .

(٣) فن الاستعارة ص٣٢٩ عن The Poetic Image 17 .

(٤) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر - د . أحمد دهمان ، ج٢ ص٥٣٣ .

(٥) أبوفراس الحمداني : الموقف والتشكيل الجمالي . د . النعمان القاضي ص٤٣٤ .

تلك القوة السحرية التركيبية التي تطلق عليها اسم الخيال تظهر في التوفيق بين الخصائص المتنافرة أو المتناقضة وإظهار الجدة فيما هو مألوف »[١] . وحول الجدة التي تحققها الاستعارة يرى أرشيبالد مكليش أن عمق الاستعارة « يأتي من قدرتها على الربط بين الأشياء المتغايرة التي ليس بينها ارتباط والتي ماتلبث بعد انتظامها في الصورة الاستعارية أن تتحول عن مغايرتها وتباينها لتصبح شيئاً جديداً »[٢] .

وفي معنى الجدة يقول ريمون باير « إذن فما أحرانا بأن نقول إن الفن هو أسلوبنا البشري في خلق عالم يكون غريباً عن الواقع ، عالم لايكون مناظراً له ، ولايمكن وصفه بأنه مجرد تعبير عنه »[٣] .

وإذا كان الفيلسوف الفرنسي « برجسون » يرى أن الجدة التي يحققها الشاعر حين « يأخذ بيدنا إلى عالم جديد »[٤] إنما هي وليدة الحدس دون أن يشير إلى « دور الصنعة والأداء والتحقيق »[٥] فإن عبدالقاهر قد أشار إلى دور الصنعة في تشبيهه - مثلاً - لصوغ المعاني بصياغة الذهب[٦] ونفوس المصورين[٧] واستخراج الدر[٨] .

---

(١) فن الشعر . د . إحسان عباس ص١٥٠ .

(٢) أبو فراس الحمداني . د . القاضي ص٤٣٣ . وانظر أرشيبالد . الشعر والتجربة ص٨٨ .

(٣) مشكلة الفن ، د . زكريا ابراهيم . عن مرجع : R. Bager : Essais sur la methode en E sthetique , 1933 , PP. 109 , 113 .

(٤) فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، د . زكريا ابراهيم ص٢٢ .

(٥) نفس المرجع ص٣٣ .

(٦) انظر الدلائل ص٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٧) انظر الأسرار ص٣١٧ .

(٨) انظر الأسرار ص٤١ .

الإيضـاح :

إن الايضاح الذي تكسبه الاستعارة المعاني فتبـدو « المعـاني الخفيـة باديـة جلية »[١] يكاد يكون الوظيفـة الأولى لأن هذا الإيضاح يشمل المعاني التي في نفس الشاعـر ويريد تصويرها ولايتنافى هذا مع جمال الصورة لأنه « لايمكن الحكم على وظيفـة صـورة بأنها جلبت للفائدة دون أن تُمتّع أو أن تؤدي وظيفتها في الامتاع من غير أن يكون وراءها إفادة وتجسيد لتجربة وتوضيح فكرة »[٢] . والإيضاح من الأشياء التي يهتم بها الفنان « فما استبعده الجغرافي من المنظر الطبيعي ، وما أغفله المؤرخ في صميم الحدث التاريخي ، وما لم يستطع المصور الفوتوغرافي أن يلتقطه من الوجه البشري ، ومالم يفصح عنه الإدراك الحسي إلا بصورة غامضة مهوشة ، وماغاب كله أو جله عن المعرفة العلمية الموضوعية : هذا بعينه هو مايريد الفنان أن يفصـح التعبير عنه »[٣] . هذا الإيضاح هو مايقصده البروفسور « مونيك » حين يقول : إن الشاعر « يستخدم الصورة غالباً ليوضح ماعجـزت اللغـة الواضحـة عن إيضاحـه »[٤] وهو « المعرفة التي يمكن استبصارها من وراء الصورة الاستعارية أو مجموعة من الصور المترابطة المتفاعلة التي تكون رؤية معينة مثيـرة للانتبـاه »[٥] .

---

(١) الأسرار ص٤١ .

(٢) نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، أوستن وارين ص٣٣ .

(٣) مشكلة الفن ، د . زكريا ابراهيم عن : M. Dufrenne : Phenomenologu de La Perception Eothetique , Vol. , 1 . P. 394 .

(٤) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، د . صلاح عبدالحافظ عن : Literary Criticism , P. 71 .

(٥) فن الاستعارة ، د . الصاوي ص٣٥٥ ، عن مبادىء النقد ص٨٩ - ٩١ .

إن ماعناه الجرجاني حين قال « وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جُسّمت حتى رأتها العيون وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها إلا الظنون »[1] ، هو أنها طريق من طرق الوصول إلى المعنى بواسطة التشكيل الفني ، وهو ماقصده « مري » حين قال عنها « إنها الوسيلة التي عن طريقها نصل بين ماهو أقل شيوعاً وماهو أكثر شيوعاً بين ماهو مجهول وماهو معلوم وبذلك يصبح وجودها وجوداً حقيقياً »[2] . وحين قال مرة أخرى « الاستعارة والتشبيه يمكن وصفهما بأنهما القياس الذي عن طريقه يمكن للعقل الإنساني أن يكتشف عالم الماهيات وأن يبين المعالم غير المحدودة للعالم »[3] ، هذا الإيضاح أو الجلاء للمعاني التي في نفس الشاعر بالطبع رأته أيضاً « كارولان سبرجن » ضمن فوائد الاستعارة حين قالت عنها أنها « تنقل المشاعر عن طريق الوصف التفصيلي مما يجعلها أكثر جلاءً ووضوحاً »[4] .

---

(١) الأسرار ص٤١ .

(٢) فن الاستعارة ص٣٦٧ ، عن : J. M. , Murry : Metaphor , 234 - 237

(٣) المرجع نفسه .

(٤) فن الاستعارة ص٣٦٨ ، عن :

- Caroline Spergeon : Shakespear's Imagery and What it Tell Sus : P. 97.

الفصل السابع

صلة الصورة في النقد الحديث
بالاستعارة عند عبدالقاهر

الصورة في النقد الحديث
وصلتها بالاستعارة عند عبدالقاهر

إذا كان لنا أن نتحدث عن الصورة في نقدنا الحديث ومدى اتصالها بالاستعارة عند ناقد القرن الخامس - عبدالقاهر - فإن هذا يحتم علينا إلقاء الضوء على مفهوم الصورة في العصر الحديث ومفهوم الاستعارة عند عبدالقاهر ، وحيث إني تناولت الحديث عن الأخيرة في موضع سابق فسيكون حديثي هنا عن الصورة وإيضاح معناها .

أولاً : مفهوم الصورة لغة :

« في أسماء الله تعالىٰ : « المصوّر » وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها . ابن سيدة : الصورة في الشكل ، . . . قال ابن الأثير : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته »[١] .

إذن فالصورة لغة لاتعني الشكل الظاهري فحسب بل تخرج إلى الهيئة والصفة المعنوية .

ثانياً : مفهوم الصورة عند القدماء :

لم يُدرس هذا المصطلح عند بعض النقاد والبلاغيين القدماء بتعمق وتحليل ، لأن الملكة البيانية لم تكن قد مُنيت بما مُنيت به من ضعف في العصور المتأخرة ، فكانت الاشارة إلى الصورة تكفي .

---

(١) لسان العرب ج٤ ، ص٤٧٣ .

وقد كان الجاحظ أول من نبّه إلى فكرة الصورة بالمعنى الفنّي وذلك في مقولته المشهورة « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير »[(١)] .

وبالرغم من أن الإمام عبدالقاهر لم يوافق الجاحظ في فكرة أن المعاني مطروحة في الطريق لأنه - أي عبدالقاهر - فهم من لفظ المعاني ، المعاني الخاصة والجاحظ أراد المعاني العامة الكلية - كالفرح والحزن والعدل والظلم - فهي التي يعرفها كل هؤلاء ويشعرون بها . إذا كان عبدالقاهر لم يوافق الجاحظ على هذا الجزء ، فقد وافقه على أن جودة الكلام تعود إلى تصوير المعاني في صياغة مناسبة ، يقول : « واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا . . . ويكفيك قول الجاحظ : إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير »[(٢)] فالصورة كما رأينا عند الجاحظ تعني الصياغة .

ثم جاء الرماني وتابع الجاحظ في مفهوم الصورة بمعنى الصياغة فقال : « البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »[(٣)] . وهذا هو المعنى الكلي ، وقد عرف أيضاً المعنى الجزئي للصورة أي : التشبيه والمجاز ، فذكر أن بلاغة التشبيه والاستعارة تكون بمدى قدرتهما على تصوير المعنى وإظهاره ، فالتشبيه على أربعة أوجه خلاصتها : عرض الفكرة المعنوية في صورة حسية ، أو عرض الصورة الحسية في صورة حسية أوضح منها .

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج٣ ، ص١٣١ ، ١٣٢ تحقيق : عبدالسلام هارون .

(٢) دلائل الإعجاز ص٥٠٨ .

(٣) النكت في إعجاز القرآن من ثلاث رسائل ص٦٩ .

أما الاستعارة فقد مثّل لها بأمثلة كثيرة توضح أن أهميتها ترجع إلى تصوير المعنى ، فيعلق على قوله تعالىٰ : ﴿ **أَلَـرَ كِتَاب أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النّـورِ** ﴾(١) بقوله « كل ماجاء في القرآن من ذكر من الظلمات إلى النور فهو مستعار وحقيقته من الجهل إلى العلم ، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى مايدرك بالأبصار »(٢) .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا تلك الإشارة التي ذكرها الرماني والتي تفيد لجوء الشاعر أو الأديب إلى الاستعارة ليس هو من قبيل التحسين والزينة للمعنى النثري كما يدعي كثير من المحدثين صدوره عن القدماء ، يقول الرماني : « فكل استعارة لابد لها من حقيقة ولابد من بيان لايُفهم بالحقيقة . . . وكل استعارة حسنة فهي توجب دلالة بيان لاتنوب منابه الحقيقة »(٣) .

وتابع العسكري الجاحظ والرماني في مفهومها للصورة بمعنى الصياغة فقال : « البلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن »(٤) .

وقد التقى العسكري والرماني مع كثير من البلاغيين والنقاد عند هذا الرأي كقدامة وابن طباطبا والقاضي الجرجاني .

وإذا ما انتقلنا إلى عبدالقاهر الجرجاني ومفهوم الصورة عنده وجدنا فارقاً كبيراً في البحث والدراسة ، وليس في المفهوم . فقد شرح مفهوم الصورة بالمعنى الكلي أو الصياغة في النص المشهور الذي قال فيه « واعلم أن قولنا « الصورة » ، إنما هو

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ‹١› .

(٢) النكت في إعجاز القرآن من ثلاث رسائل ص٨٥ .

(٣) نفس المرجع ص٧٩ .

(٤) الصناعيتين ص١٩ .

تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على مانراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بينَ آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكأن تبيُّنُ إنسان من إنسان وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة هذا لاتكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيُّنُ خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً ، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : « للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك » . وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكر منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : « إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير »[١] .

وأكد أن هذا المعنى قد عرف لدى السابقين عليه فقال : « جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصية التي حدثت فيه »[٢] .

وهذا يؤكد ماذهبت إليه سابقاً من أنّ دراسة القدماء كانت تُلمح إلى الصورة دون أن تفصل في جزئيات مفهومها .

ويتضح المفهوم الجزئي للصورة بمعنى الفنون البيانية - التشبيه ، المجاز ، الكناية - في قوله : « فالاحتفال والصنعة التي تروق السامعين وتروعهم ، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم ، وتفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش ، أو بالنحت والنقر ، فكما أن تلك تعجب وتخلب ، وتروق وتونق وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ، ويغشاها ضرب من الفتنة لاينكر مكانه ، ولايخفى

---

(١) من دلائل الإعجاز ص٥٠٨ .

(٢) دلائل الإعجاز ص٤٨٢ .

شأنه ، فقد عرفت قضية الأصنام وماعليه أصحابها من الافتتان بها والإعظام لها ، كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ويشكله من البدع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحي الناطق ، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب . . . »[١] .

وعلى هذا يكون عبدالقاهر أول من تعمق فهم الصورة ، باعتراف كثير من المحدثين[٢] رغم التحامل الشديد على القدماء .

وبهذا نستطيع أن نقول إن علماءنا الأجلاء قد عرفوا الصورة بمعناها الكلّي وهو - كما ذكره د . أبوموسى - « مايدركه المتأمل في المعاني من فوارق دقيقة وشفيفة بين هيآتها وأشكالها وشياتها وملامحها وأشياء كثيرة غامضة يفترق بها المعنى في الذهن عن المعنى ، وتكون له في النفس هيأة لاتكون لغيره ، وهذا ماسماه العلماء الصورة »[٣] كما عرفوها بالمعنى الجزئي وربطوها بأدواتها « التشبيه » ، «الاستعارة » ، « الكناية » مثلما فعل عبدالقاهر »[٤] .

ثالثاً : مفهوم الصورة في النقد الحديث :

يستعمل مصطلح صورة Image في أكثر من مجال واحد من مجالات المعرفة الإنسانية ، ويتخذ في كل منها مفهوماً خاصاً وسمات محددة ، ويمكن أن نحصر ذلك في خمس دلالات : (١) - الدلالة اللغوية ، (٢) - الدلالة الذهنية ،

---

(١) الأسرار ص٣١٧ .

(٢) د . دهمان - د . الصاوي .

(٣) الصورة في التراث البلاغي للدكتور محمد أبوموسى ، من بحوث كلية اللغة العربية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، السنة الثانية ، العدد الثاني ١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ ، ص١٧٩ .

(٤) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر : د . أحمد دهمان ج١ ، ص٢٧٥ .

(٣) - الدلالة النفسية ، (٤) - الدلالة الرمزية ، (٥) - الدلالة البلاغية أو الفنية »[١] .

والذي يعنينا من هذه الدلالات : الدلالة البلاغية مع التنبه إلى أنها تعني في هذا النص بالذات « أي شكل مفرد من أشكال الكلام البلاغية يتضمن مقارنة أو علاقة بين مركبين أو عنصرين أو لنقل كل تعبير غير حرفي »[٢] .

ونظراً لتأثر نقادنا العرب المحدثين بالنقاد الغربيين فقد رأيت الاكتفاء بإلقاء بعض الضوء على الصورة في النقد العربي الحديث .

فمن النقاد من يجعلها مرادفة للصياغة ، فيعرفها د . عبدالقادر القط بأنها « الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير البياني »[٣] .

ومن الباحثين من يجعلها مرادفة للأشكال المجازية فيعرفها بأنها (« التعبير بالمجاز » وغيره يقول « الصورة يقصد بها التشبيه والاستعارة »)[٤] . ولايعني هذا انفصالاً بين المعنى الجزئي والكلي في مفهوم هؤلاء الباحثين وقد عبّر د . عزالدين اسماعيل عن هذا التناغم بين الصورة بمعنى الصياغة والصورة البلاغية - التشبيه ، المجاز ، الكناية - فقال : « بلاغة الصورة الشعرية تُعَد أوسع نطاقاً

---

(١) مقدمة لدراسة الصورة الفنية : د . نعيم اليافي ص٤١ .

(٢) نفس المرجع ص٤٦ .

(٣) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي ص٣٤٥ .

(٤) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر : د . دهمان ص٢٦٧ .

وأخضب من مجرد التشبيه والاستعارة وإن أفادت منهما ، فليس بين الصورة إذن والتشبيه أو الاستعارة جفوة »[١] .

أما من حيث المسمى - بصرف النظر عن موافقتنا للنقاد في آرائهم أو عدم موافقتنا - فمن الباحثين من يفضل إطلاق لفظ « استعارة » على لفظ « صورة » فيقول « تستعمل كلمة الصورة عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات . . . ولايسعني إلا أن أُذكر العصريين المتلهفين على تغيير الأسماء أن لفظ الاستعارة إذا أحسن إدراكه قد يكون أهدى من لفظ الصورة وأن الصورة إذا جاز الحديث المفرد عنها لن تستقل بحال ما عن الإدراك الاستعاري »[٢] .

في حين يُفضل البعض استخدام مصطلح الصورة لأنه كما يرى « يجنب الناقد أو الدارس مشكلة التنويع والتقسيم التي يواجهها السائر على دروب البلاغة النقدية . . . بل إن النظرة البلاغية القديمة قد تفتت التعبير الواحد - في ضوء منهجها - إلى عدد من الأساليب البيانية »[٣] .

والذي نطمئن له هو أن لفظ الصورة شامل ، فالتشبيه صورة ، والمجاز صورة ، والكناية صورة ، وكل التعبيرات إنما هي صورة ما بداخلنا من معان . وهكذا نجد أن مفهوم الصورة بالمعنى الكلي عند الجرجاني يلتقي مع مفهومها بهذا المعنى لدى المحدثين ، كما يلتقي مفهوم الاستعارة عند الجرجاني مع مفهومها لدى المحدثين في فكرة : التفاعل بين الطرفين ، ويختلف من حيث إن الاستعارة عند البعض تعني الصورة وعند الجرجاني هي جزء من الصورة .

---

(١) الشعر العربي المعاصر ص١٤٣ .

(٢) الصورة الأدبية : د . مصطفى ناصف ص٥٢٣ .

(٣) التعبير البياني : د . شفيع السيد ص١٥٩ .

ومما يؤكد اتفاق مفهوم الاستعارة بين عبدالقاهر والمحدثين تشابه الأمثلة المضروبة مثل - السفينة تحرث الأمواج - ، أما الاختلاف فمقصور على الألفاظ المعبّـرة عن تعريف الاستعارة .

***

الخاتمــــة

تناولت في هذا البحث - الاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني - الجوانب التي اهتم الإمام بإيضاحها في الاستعارة ، وقد جمعت المتفرق في كتابين بعضه إلى بعض فبدأت بمقدمة أوضحت فيها سبب اختياري هذا الموضوع ، وهو أهمية هذا الموضوع بالنسبة للأساليب البيانية .

وقد حرصت في التمهيد على تتبع مفهوم هذا الفن عند المتقدمين على الإمام من علماء البلاغة فوجدت أن الاستعارة لم تخرج عندهم عن مجرد نقل الكلمة عن المعنى اللغوي الذي وضعت له في اصطلاح التخاطب .

الفصل الأول : مفهوم الاستعارة عند الإمام :

قسّم الاستعارة قسمين : مفيدة - ماعتمد على التشبيه - وغير مفيدة - مالم يكن التشبيه غرضاً فيه - ثم عاد في نهاية الأسرار وأخرج هذا الذي لايفيد من دائرة الاستعارة من بعد ماتبين له الدور الفعّال الذي تقوم به الاستعارة - المفيدة - في آداء المعاني وتوليد الصور ، وقد أظهرت تطور الاستعارة عنده وكيف أنها لاتعني مجرد النقل وإنما هي ادعاء معنى الشيء للشيء ، وهذا الادعاء الذي لايكون إلا عن طريق العقل لايعني أن الاستعارة من المجاز العقلي وإنما هي مجاز لغوي لأن التجوّز في الكلمة نفسها .

الفصل الثاني : مكانة الاستعارة بين التشبيه والتمثيل :

لّما كان التمثيل تشبيهاً إلا أن التشبيه أعم ، رأيت أن أجمع بين التشبيه والتمثيل عند الحديث عن الفروق بين الاستعارة والتشبيه . وقد أجاد الشيخ إيضاح هذه الفروق لكنه عاد في نهاية الأسرار وأجاز دخول بعض أمثلة التشبيه في الاستعارة ، ولو أنه اكتفى بها مالامه لائم . وهو يجعل الاستعارة التمثيلية - بناء على تعريفه للتمثيل وجعله الاستعارة التمثيلية ناشئة عنه بعد حذف المشبه - ماكان فيها الوجه

العقلي مفرداً ثم يعود فيرى أنه ينبغي أن يكون مركباً ، وذلك عند حمله الاستعارة على تشبيه التمثيل إذا حذف أحد طرفيه .

الفصل الثالث : تناولت فيه أقسام الاستعارة عند الإمام :

١ - لقد بذلت جهدي في توضيح هذه الأقسام فبدأت في القسم الأول بتفصيل ماكنت قد ذكرته في الفصل الأول ، وهو الحديث عن الاستعارة المفيدة وغير المفيدة في الاعتماد على التشبيه وأوضحت فيه دقة الإمام في التفرقة بين النوعين ، وعلى الرغم من أنها ملحوظة جيدة من الإمام إلا أنه يعدّ بعض الاستعارات المفيدة غير مفيدة ، كقول الشاعر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ... ننزع من شفتيه الصفارا

فاستعماله للشفة أراد به تشبيه المهر بالإنسان ليزيد من وضوح العلاقة الحميمة بين القوم والمهر .

٢ - الاستعارة في الاسم والاستعارة في الفعل :

يقسم الاستعارة في الاسم قسمين : ماله مقابل - وهو ماعُرف بعده بالاستعارة التصريحية - وماليس له مقابل - وهو ماعُرف بالاستعارة المكنية - ويوضح الفروق بينهما .

أما الاستعارة في الفعل فهي نقل مصدر الفعل ثم اشتقاق فعل منه . ولايفوت عبدالقاهر الحديث عن القرينة ، إذ بيّن أن الاستعارة قد تُعرف من جهة الفاعل وقد تُعرف من جهة المفعول ، وإذا كان الفعل متعدياً لمفعولين فإن الاستعارة قد تُعرف من جهة المفعولين معاً وقد تُعرف من جهة أحد المفعولين دون الآخر .

٣ - تقسيم باعتبار الجامع والطرفين :

يُدرّج الإمام الاستعارة في هذا التقسيم من الضعف إلى القوّة فيبدأ

بالضرب الأول : وهو الاستعارة القريبة من الحقيقة . وفيها يكون الجامع موجوداً في معنى المستعار والمستعار له وداخلاً في حقيقتهما من حيث عموم الجنس .

الضرب الثاني : الصفة في هذا الضرب تكون موجودة أيضاً في كلٍ من المستعار له والمستعار منه إلا أنها توجد في جنسين مختلفين .

الضرب الثالث : يقول عنه الإمام بأنه « الصميم الخالص من الاستعارة » وهو مايكون الشبه فيه عقلياً مأخوذاً من أمور عقلية ، مع اختلاف الجنسين ، وهذا الضرب هو أعلى درجات الاستعارة إذ عنده تبلغ غاية شرفها .

الفصل الرابع :

فيه كشف عن قيمة الاستعارة والأثر الذي تتركه على المعنى مع بيان أسباب هذا الحسن وهذا الجمال .

الفصل الخامس : تناولت فيه الاستعارة ومكانتها من النظم :

فهي شيء والنظم شيء آخر لكنها ضرورة يقتضيها جمال النظم .

الفصل السادس : أوضحت فيه تقسيم الإمام للمعاني إلى قسمين :

القسم العقلي والقسم التخييلي .

فالأول ماشهد له العقل بالصحة ، والثاني مالايمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت ومانفاه منفى ، ثم أوضحت رأيه في قول القائل « خير الشعر أكذبه » و « خير الشعر أصدقه » ومن ثم يظهر تناقض الإمام عند حديثه عن القسم التخييلي وكيف أنه أخرج الاستعارة من التخييل ثم عاد وأدخلها فيه ، وقد حاولت جهدي التوفيق بين آراء الإمام في ذلك .

ثم أوضحت جهود عبدالقاهر ناقد القرن الخامس الهجري وكيف التقى معه المحدثون في بعض الأمور مثل : فكرة النقل وفكرة الادعاء ، والاستعارة المفيدة وغير المفيدة ، وماله مقابل وماليس له مقابل ، والنظم وفوائد الاستعارة .

الفصل السابع : وفيه يتضح لنا أن « الصورة » لفظ شامل و « الاستعارة » جزء من الصورة ، وبهذا يكون مفهوم الإمام للاستعارة هو نفسه مفهومها عند المحدثين ، كما أنه يلتقي مع المحدثين في مفهومهم للاستعارة وذلك في فكرة التفاعل بين الطرفين ، ومما يؤكد هذا الاتفاق تشابه الأمثلة ، أما الاختلاف فقاصر على الألفاظ المعبّرة عن تعريف الاستعارة .

***

المصادر والمراجع

- الآمـــدي : أبوالقاسم الحسن بن بشر بن يحى الآمدي البصري .

الموازنـــة بين الطائيين .

تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .

الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنـان .

- إبراهيم أنيس (دكتور) .

دلالـة الألفـــاظ

الناشر : مكتبة الأنجلو المصريـــة ، ١٩٨٠م .

- ابن الأثيـر : ضياء الدين بن الأثير .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

تحقيق : د . أحمد الحوطى ، بدوي طبانـة .

الناشر : دار النهضـة ، مصر للطباعة والنشر .

- ابن جني : أبوالفتــح عثمان بن جنــي .

الخصائــص .

حققـه : محمد على النجـار ، الطبعة الثالثـة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ابن دريــد : أبوبكـر محمد بن الحسن الأزدي البصري .

جمهـرة اللغة .

الناشر : دار صادر ، بيروت .

- ابن رشيق : أبوالحسن بن رشيق القيرواني الأزدي .
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقـده .
تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .

- ابن سنان : أبومحمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي .
سر الفصاحـة .
شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- ابن طباطبا : محمد أحمد بن طباطبا العلوي .
عيــار الشعـر .
شرح وتحقيق : عباس عبدالساتر - مراجعة : نعيم زرزور .
الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- ابن قتيبـة : أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبـة .
تأويل مشكـل القرآن .
شرحه ونشره : السيد أحمد صقر .
الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
الشعر والشعراء .
تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر - دار المعارف .

- ابن قيم الجوزية : شمس الدين محمد بن أبي بكر .
الفـوائــــــــد .
الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ابن المعتـز : عبدالله بن المعتز .
كتـاب البديـــــع .
الناشر : دار المسيرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .

- ابن منظور : أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكــرم .
لسان العـــرب .
دار صادر ، بيروت .

- أبوعبيـدة : أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري .
كتاب النقائـض . اعتناء المستشرق الإنجليزي بيفان .
طبع في مدن ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٩٠٥م المسيحية .

- إحسان عباس (دكتور) .
فن الشعر .
دار الثقافـــة .

- أحمد دهمــان (دكتور) .
الصورة البلاغيـة عند عبدالقاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً .
الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

- أحمد الصاوي (دكتور) .
من الاستعـــارة ، دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي .

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الأسكندرية .
النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني .
١٩٨٢ .

- أرشيبالد مكايش .
الشعر والتجربـة .
ترجمة سلمى الخضراء الجيوسى ، مراجعة توفيق صانع ، ط اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٦٣م .

- الباقلاني : أبوبكر محمد الطيب .
إعجاز القــرآن .
تحقيق : السيد أحمد صقر .
الناشر : دار المعارف بمصـــر .

- البكــري : أبوعبيد البكري الأونبي .
سمط اللآلى في شرح أمالى القالى .
تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنـان .

- الجاحـظ : أبوعثمان عمر بن بحر الجاحظ .
البيـــان والتبييـــن .
تحقيق وشرح : عبدالسلام هــارون ، الطبعة الرابعة .
الناشر : دار الفكـــر .

الحيـــــوان .

تحقيق عبدالسلام محمد هـارون .

الناشر : دار الفكر ، الطبعة الثانية .

- الجرجـاني : عبدالقاهر الجرجاني .

أسرار البلاغـة .

تحقيق ريتـر ، الناشر : مكتبة المتنبي .

دلائل الإعجـاز .

تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي .

- الجرجـاني : علي بن عبدالعزيز الجرجاني .

الوساطة بين المتنبي وخصومه .

تحقيق وشرح : محمد أبوالفضل إبراهيم - على محمد البجاوي .

- الحاتمـي : أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي .

الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره .

تحقيق : د . محمد يوسف نجم ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، دار صـادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

- رينيـه ويليك ، أوستن وارين .

نظريـة الأدب .

ترجمـة : محي الدين صبحي ، ١٩٨١م .

- زكريـا إبراهيـــم .

فلسفة الفن في الفكـر المعاصــر . الناشر : مكتبة مصـــر .

مشكلة الفن . الناشر مكتبة مصـر .

- الزمخشــري : العلامة جار الله الزمخشري .

أساس البلاغــة .

الناشر : دار المعرفـة ، بيروت ، لبنـان .

- ستانلـي هـايمن .

النقد الأدبي ومدارسه الحديثة .

ترجمة د . إحسان عباس ، د . محمد يوسف نجم ـ دار الثقافة ١٩٨١م .

- شفيع السيد (دكتور) .

التعبير البيـاني .

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- شوقي ضيف (دكتور) .

البلاغة تطور وتاريخ .

الناشر : دار المعارف .

- صلاح عبدالحافظ (دكتور) .

الزمان والمكـان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره .

الناشر : دار المعارف ، ١٩٨٣م .

- العباس : عبدالرحيم بن أحمد العباس .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .

تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد . ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م .

- عبدالرحمٰن البرقوقي .

شرح ديــوان المتنبي .

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- عبدالقادر القط (دكتور) .

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر .

الناشر : مكتبة الشباب ، ١٩٨٦م .

- عزالدين اسماعيل .

الأسس الجمالية في النقد العربي . الناشر : دار الفكر العربي ، ١٩٧٤م

الشعر العربي المعاصر . الناشر : دار الفكر العربي .

- العسكري : أبوهلال العسكري .

الصناعتين : الكتـابة والشعــر .

حققه : د . مفيد قميحـة ، الناشـر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- علـي العمــاري .

- قدامة بن جعفـر .

نقـد الشعـر .

تحقيق : د . محمد عبدالمنعم خفاجي . الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- القزوينـي : الخطيب القزوينـي .

الإيضـاح في علوم البلاغة .

شرح وتعليق : د . محمد عبدالمنعم خفاجي . منشورات دار الكتـاب اللبناني .

- المبـــرد : العلامة أبوالعباس محمد بن يزيد النحوي .

الكامل في اللغة والأدب .

الناشر : مكتبة المعارف .

- محمد أبو موسى (دكتور) .

الإعجـاز البلاغـي . الناشر : مكتبة وهبه ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

التصوير البياني . الناشر : مكتبة وهبة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

بحوث كلية اللغة العربية . المملكة العربية السعودية ، مكة المكـرمة ، جامعة أم القرى ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ١٤٠٤هـ / ١٤٠٥هـ .

- محمد بدري عبدالجليل (دكتور) .

المجـاز وأثـره في الدرس اللغوي .

الناشر : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م .

- محمد زغلول سلام (دكتور) .
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .
الناشر : دار المعارف .

- مصطفى ناصف (دكتور) .
الصورة الأدبيـــة .
الناشر : دار الأندلس .

- نعمـان القاضـــي (دكتور) .
أبوفراس الحمدانـي ، الموقف والتشكيل الجمالي .
الناشر : دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٢م .

- نعيم اليافـي (دكتور) .
مقدمة لدراسـة الصـورة الفنيـة .
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢م .

- شروح التلخيص : وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني .
وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي .

الفهـــــرس

الموضـــــــــــوع	الصفحـــة
- **مقدمـة**	١ - ٣
- **تمهيـد :**	
- الاستعارة وتطورها	٤ - ٢١
- ترجمة موجزه	٢٢
- **الفصل الأول :**	
أ - الاستعارة .	٢٣ - ٤١
ب - الاستعارة المجـاز لغوياً وعقليـاً	٤٢ - ٤٦
- **الفصل الثاني :**	
- مكان الاستعارة بين التشبيه والتمثيل	٤٧ - ٧٠
- **الفصل الثالث :**	
- أقسام الاستعارة ، الفروق بينها ، قوانينها	٧١ - ١٠٠
- **الفصل الرابع :**	
- قيمتها الجمالية والبلاغية وأسباب حسنها	١٠١ - ١١٧
- **الفصل الخامس :**	
- الاستعارة ومقتضيات النظم مع بيان أثرها في الدرس اللغوي	١١٨ - ١٢٦

- **الفصل السادس :**
أ - الاستعارة بين المعنى التخييلي والمعنى العقلاني ١٢٧ - ١٤٠
ب - تقويم جهود عبدالقاهر الجرجــاني بين سابقيه ولاحقيه ١٤١ - ١٥٨

- **الفصل السابع :**
- صلة الصورة في النقد الحديث بالاستعارة عند عبدالقاهر ١٥٩ - ١٦٧

- **الخاتمـــــة** ١٦٨ - ١٧٢
- المصار والمراجــع ١٧٣ - ١٨١
- الفهـــــرس ١٨٢ - ١٨٣

***